الرافد

مجلة أسبوعية تهتم بشئون الحوزات العلمية

- السنة الثانية
- العدد: ٣٧
- الأثنين
- ٩ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ.ق
- ٣ مهر ١٤٠٢ هـ.ش
- ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٣ م
- ٨ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

مظاهر الإبداع الأصولي عند السيد الخوئي قدس سره

آية الله الشيخ إسحاق الفياض

صفحة ٤

المرجعية الدينية في مدينة سامراء

صفحة ٨

تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

مركز تراث سامراء

مركز علمي تخصصي تابع للعتبة العسكرية المقدسة، يعنى بدراسة تراث مدينة سامراء المشرفة وأئمتها عليهم السلام وأعلامها والعمل على تحقيقه ونشره وحفظه.

الرؤية

نشر تراث مدينة سامراء المشرفة وأئمتها عليهم السلام وأعلامها، وتوفير السبل الكفيلة بحمايته.

الرسالة

تعريف العالم بالتراث الفكري والأخلاقي لأئمة سامراء عليهم السلام وأعلامها وإبراز العمق الحضاري والتأريخي للمدينة المشرفة، لإعادتها الى الذاكرة، كونها من المدن الإسلامية الخالدة.

الأهداف الرئيسة

دراسة تراث مدينة سامراء المشرفة وأئمتها عليهم السلام وأعلامها، وتحقيقه ونشره وحفظه وبيان أهم مميزاتها الدينية والحضارية والتراثية.

الأهداف الفرعية

١. تسليط الضوء على تراث أئمة سامراء عليهم السلام وأعلامها - مولداً ومسكناً ومدفناً ابتداءً من الإمام الهادي عليه السلام والى يومنا هذا من خلال التحقيق والتأليف والطباعة والنشر لتراثهم الفكري والأخلاقي.

٢. الاهتمام بتراث المراقد المقدسة في المدينة والمزارات والمواقع الاثرية الأخرى والعمل على توفير الحماية القانونية لها.

٣. إبراز الوجه الحضاري والتراثي للمدينة العريقة من خلال التعريف بمآثرها قديماً وحديثاً.

٤. البحث في الإرشيف الوثائقي العراقي والعثماني والإيراني والإنكليزي لجمع كل ما يخص مدينة سامراء المشرفة وتوظيفه لمصلحتها.

٥. تعزيز أطر التعاون العلمي والثقافي مع الجامعات والمؤسسات البحثية والشخصيات العلمية وتفعيل العمل المشترك.

٦. إثراء المكتبات بالإصدارات المتخصصة ورفد المؤسسات العلمية بالنتاج المعرفي.

المشاريع المنجزة: وهي على ثلاث محاور:

المحور الأول: - الدراسات والتوثيق والتأليف والتحقيق.

المحور الثاني: - التعاون العلمي والعلاقات الثقافية.

المحور الثالث: - المشاريع الاستراتيجية.

مقالة

دور الإمام العسكري عليه السلام في الإعداد لغيبة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

الإرهاصات على قسمين

الإرهاصات العامة:

وهي التي تكفل بها الله من وأعدها لوجود الإمام المنتظر لا ولغيبته، ومنها الأحاديث التي وردت عن النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والتي لا تفسير لها إلا وجود إمام غائب كما في صحاح العامة: «لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»، أو «كلهم من بني هاشم، فعبارة: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، توضح أن هؤلاء الاثني عشر خليفة يبقون مواكبين للدين إلى يوم القيامة، وهذا لا تفسير له إلا بوجود إمام وهو الإمام الثاني عشر؛ لأنه لو لم يكن موجوداً لكان هذا الحديث كذباً، فلا بد من وجود اثني عشر إمام يبقون مع بقاء الدين إلى يوم القيامة، وبما أن الأحد عشر قد توفوا، فلا بد من وجود شخص يكون مواكب الماء الدين إلى يوم القيامة.

وهذا أيضاً ما يؤكده حديث الثقلين: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لم تضلوا بعدي أبداً وقيد أنساني الخير اللطيف أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما"، أي يبقيان متواكبين إلى يوم القيامة، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهوراً، أو خالفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته، وهذه الأحاديث تؤكد مسألة الغيبة.

تمهيد الإمام الحسن العسكري عليه السلام للحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

الإرهاص الثاني: وجود الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

إن وجود الإمام العسكري عليه السلام هو وجود تمهيدي إعدادي لوجود الإمام المهدي عليه السلام، فالمؤرخون عندما يتحدثون عن الإمام الحسن العسكري يذكرون أنه كان له تأثير غريب على من يلتقي به وعلى من ينظر إليه، حتى على أعدائه.

مثلاً يقول الحسن بن محمد الأشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما كان أحمد بن عبد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم، فجرى في مجلسه يوما ذكر العلوية - أبناء أمير المؤمنين عليه السلام، و كان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام، فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبره عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء والعامة، وأذكر أني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يؤم مجلسه للناس، إذ دخل حجابه فقالوا: أبو محمد بن الرضا بالباب، فقال بصوت عالٍ ائذنوا له، فتعجبت مما سمعته منهم، ومن جسارتهم أن يكنوا رجلاً بحضرة أبي، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه، ولا أعلم فعل هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وجلس على جنبه مقبلاً عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه، إذ دخل الحاجب فقال: الموفق قد جاء، وكان الموفق إذا دخل على أبي تقدمه حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة، فقال حينئذٍ له: إذا شئت جعلني الله فداك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا . يعني الموفق - فقام وقام أبي وعانقه ومضى فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الذي كنيتموه بحضرة أبي وفعل به هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علي يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا، فازداد تعجبي، ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي، وما رأيته فيه حتى كان الليل، فلما صلى وجلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد، ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أبة، فإن أذنت سألتك عنها، فقال: قد أذنت، فقلت: يا أبة من الرجل الذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا.

الإرهاصات الخاصة: الإمام العسكري عليه السلام مارس دورين إعداديين لغيبة ولده الإمام المنتظر

الدور الأول: تربية المجتمع الشيعي على الاعتماد على السفراء، فصار الإمام العسكري يحتجب شهوراً عن الناس، ويأمرهم بالاعتماد على وكلاته وعلى علماء الشيعة آنذاك، حتى يعودوا على غيبة الإمام واستقبال الغيبة، لأن الناس لو حصلت لهم الغيبة فجأة لأصابهم الارتداد وأصابتهم صدمة نفسية، كالطالب في الصف الذي يطلب منه الامتحان بدون تحضير فهو سيصاب بالإحباط والصدمة النفسية.

أيضا الغيبة ما جاءت دفعية، بل جاءت قبلها إعدادات وإرهاصات، فالإمام العسكري عليه السلام عود الشيعة على الاعتماد على سفراته ووكلاته، حتى كان الشيعة يعطون أموالهم وحقوقهم لعثمان بن سعيد العمري السمان - حيث كان يبع لم وكان يدع الأموال في جراب السمن وكان يضع الأموال في جراب السمن ويأتي بها الى الإمام العسكري عليه السلام.

الإعلان العام والخاص عن الإمام المهدي عليه السلام

الدور الثاني: الإعلام، فقد أعلن عن ولده الإمام المهدي بشكل تدريجي، إعلاناً عاماً ثم إعلاناً خاصاً ثم إعلانا أخص، اولاً أعلن إعلاناً عاماً بقوله (إذا قام القائم أمر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد)، فهذا إعلان عام.

وهناك إعلان خاص لوجهاء الشيعة، فقد كتب إلى ابن بابويه (عليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أفضل أعمال امتي انتظار الفرج. ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملت جوراً وظلماً، فصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المتلقين، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته).

وهناك إعلان اخص، فعن ابي غانم الخادم قال: ولد لابي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً، فعرضه على أصحابه يوم الثالث، وقال: «هذا صاحبكم من بعدي، وخليفتي عليكم، وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، فإذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً).

المصدر: موقع الحجة بن الحسن المهدي

الأخبار الدولية

ممثل السيد السيستاني يصلي على جثمان آية الله الخرسان بعد التشييع في كربلاء

صلى ممثل المرجعية الدينية العليا الشيخ عبد المهدي الكربلائي على جثمان الفقيد حيث تم طواف الجثمان الطاهر للفقيد الخرسان المرقدين المقدسين للامام الحسين واخيه ابو الفضل العباس عليهما السلام.

وكالة الحوزة

السوداني: المعركة ضد داعش وحّدت العراقيين بجميع أطيافهم

أكد رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني أن المعركة ضد تنظيم داعش الإرهابي وحّدت العراقيين بجميع أطيافهم ومكوناتهم، مشددا على أن القرار العراقي قرار وطني يستند إلى مصالح الشعب، وأن كل تجاوز واعتداء على العراق مرفوض من أية جهة كانت.

وقال السوداني خلال الجلسة الحوارية التي عقدها اليوم الجمعة (٢٢ أيلول ٢٠٢٣)، في مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، على هامش زيارته إلى نيويورك، "مررنا بتجربة مؤلمة في مواجهة الإرهاب بدءاً من القاعدة وصولاً إلى داعش، لكن بعد الانتصار على داعش عشنا بداية جديدة في العراق".

شفقنا

انسحاب الكويت من مؤتمر دولي اعتراضا على وجود وزير صهيوني

أكدت مصادر إعلامية أن الوزير العوضي غادر القاعة قبل بدء كلمة الوزير الصهيوني وذلك عند الساعة الثالثة مساء بتوقيت نيويورك.

وأشارت الصحيفة إلى أن الوزير لم يعد إلى القاعة، وذلك انسجاما مع مواقف الكويت الثابتة والراسخة تجاه قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربية.

وأشاد رواد مواقع التواصل بانسحاب وزير الصحة الكويتي من مؤتمر لوزراء الصحة عقد على هامش اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك يوم الأربعاء، وذلك خلال إلقاء وزير الصحة والداخلية الصهيوني كلمته.

وكالة الحوزة

المفتي قبلان: البلد يعيش لحظة مصير دقيق وحساس، والحل بالحوار

ألقى المفتي الجعفري الممتاز الشيخ أحمد قبلان خطبة الجمعة في مسجد الإمام الحسين في برج البراجنة، توجه فيها إلى القوى السياسية بالقول: "إن الخلاف السياسي اليوم على البلد، وإن المزيد من القطيعة السياسية يضع البلد في مواجهة أزمات ومستقبل مجهول. ورغم فداحة الفراغ، إلا أن الفراغ قي المؤسسات الأمنية والعسكرية ومنها الجيش وقوى الأمن كارثة على الكيان، والبلد يعيش لحظة مصير دقيق وحساس، والحل بالحوار، ووضع لبنان على لائحة الانتظار يعني بالخرائط الأميركية تنفيذ مشاريع إغراق شامل للبنان".

شفقنا

استمرار ردود الفعل المنددة بمنع ارتداء العباءة في فرنسا

لا زالت ردود الأفعال تتوالى على قرار الحكومة الفرنسية منع لبس العباءة في المدارس حيث رأى المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية أن القرار "تعسفي". وأشار المجلس إلى أن القرار يخلق "مخاطر عالية للتمييز" ضد المسلمين، وقال إن غياب تعريف واضح للباس يخلق "وضعا غامضا وانعدام أمن قضائي". كما أوضح أن العباءة يمكن أن تعدّ في بعض الأحيان "إسلامية"؛ وبالتالي تكون محظورة، وفي أحيان أخرى تصبح "غير إسلامية" فيسمح بها.

العالم

نائب الامين العام لحزب الله في ذكرى مجزرة صبرا وشاتيلا

مجزرة صبرا وشاتيلا هي وصمة عار على الكيان الصهيوني وعملائه في الداخل اللبناني اكد نائب الامين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم ان مجزرة صبرا وشاتيلا هي وصمة عار على الكيان الصهيوني وعملائه في الداخل اللبناني والدول التي ساهمت بتغطية هذه المجزرة. كما اعتبر الشيخ قاسم ان التطبيع خيانة من اي جهة كان لأنه يمنح (اسرائيل) شهادة حسن سلوك على اجرامها ويقف في المقلب الاخر.

وقال الشيخ قاسم: المقاومون اليوم في فلسطين يقولون بالبندقية فلسطين لنا وستعود، مضيفا: شرف لنا ان ندعم فلسطين ولن يحرر الارض الا السلاح ولن يمنع المزيد من العدوان الا السلاح.

وكالة تقريب

الإعلان عن أسماء الفائزين بجائزة المصطفى صلى الله عليه وآله لعام ٢٠٢٣

أعلن نائب رئيس أكاديمية العلوم الإيرانية علي أكبر صالحي أسماء الفائزين بجائزة المصطفى صلى الله عليه وآله للعلوم والتكنولوجيا في دورتها الخامسة لعام ٢٠٢٣، والتي ستوزع على الفائزين في ذكرى المولد النبوي الشريف صلى الله عليه وآله المصادف لـ ٢ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٣ في مدينة أصفهان.

وأفادت اللجنة الإعلاميّة التابعة لمؤسّسة المصطفى صلى الله عليه وآله بأن نائب رئيس أكاديمية العلوم علي أكبر صالحي قد أعلن أسماء الفائزين بجائزة المصطفى صلى الله عليه وآله خلال مؤتمر صحفي. وبحسب صالحي فإن الفائزين هم ٥ علماء ٣ منهم مقيمين في البلدان الإسلامية والآخران من الجالية المسلمة في خارج العالم الإسلامي.

تسنيم

ترجمة

من هو آية الله السيد محمد مهدي الخرسان؟

ترجمة بقلم الفقيد

مالي لا أُترجم لنفسي بقلمي أُسوة بمن ترجموا لأنفسهم من مشايخي في العلم والرواية في كتبهم بأقلامهم، فقد كتب شيخنا المغفور له صاحب الذريعة شيئاً من ترجمته في أوّل مصفى المقال وذكر مؤلفاته في الذريعة كل في مكانه حسب اسمه، وأمّا سيّدنا الأستاذ المغفور له السيّد الخوئي فقد ترجم لنفسه في معجم رجال الحديث.

وأنا لمّا منَّ الله سبحانه عليَّ أن وفقني لطلب العلم وألهمني حبّه منذ بداية شبابي وحتّى اليوم، وها أنا قد بلغت من العمر ما صح فيَّ (زرع آن حصاده) فأسأله تعالى العفو والرضوان فأقول في ترجمتي بقلمي في سطور:

فأنا محمّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان:

١. ولدت في النجف الأشرف في ٩ رجب سنة ١٣٤٧ هـ كما سمعته من المرحوم السيّد الوالد قدس سره وثمة تاريخ شعري في ذلك.

٢. ربّيت بين أبوين كريمين فجزاهما الله عني خيراً فقد أحسنا التربية على معاناة من شظف العيش، أُسوة بالآخرين من مجتمع الأُسرة والجيران، إذ لم يولد أحدهم وفي فمه ملعقة ذهب، فكان الإيمان عند الجميع أقوى من المادة.

٣. أدخلت الكتّاب وأنا قد تعلمت القراءة قبل ذلك عند الوالدة رحمها الله، واستدارت أيام التعليم على عدة كتاتيب بمثابة النجاح من صف إلى صف، وأخيراً في منتدى النشر وإلى جانب مناهجها كانت الدراسة الحوزوية التقليدية وسرت فيها من السطوح وحتّى الخارج.

٤. وإلى جانب ذلك كانت المجالس العلمية وهي بحق خير مدارس، وكان أحدها مجلس أُسرتنا الّذي رعاه المرحوم الوالد طيلة ثلاثة عشر عاماً في كل يوم عصراً، وفي كل يوم خميس صباحاً وهذا الأخير استمر أكثر من ذلك بكثير، فتعلّمت من آداب المجلس والحديث مع المشايخ، وقد ذكرت جانباً من ذلك في كتاب (ذكرياتي في حياتي) ولا ينشر لو قدر له النشر إلاّ بعد وفاتي، لما فيه من حقائق مرّة.

٥. بدأت علاقتي بالكتاب حين كتبت عن الصحابي الجليل ابن عباس حبر الأُمة، ولم أكن أملك كتاباً واحداً يسعفني في حاجتي سوى كتاب شرح نهج البلاغة للمعتزلي ومروج الذهب للمسعودي وبعض أجزاء البحار في مكتبة المرحوم السيّد الوالد قدس سره، فكان من الطبيعي أن أسعى في طلب المصادر في المكتبات العامة، وليس يومئذ منها في النجف الأشرف سوى مكتبة المرحوم المغفور له الحجة الشيخ كاشف الغطاء قدس سره في مدرسته، ومكتبة الحسينية الشوشترية، والاستفادة منهما برهن مجيئ الناظر ليفتح المكتبة، ولي في ذكرياتي عنها بعض الحديث.

٦. ومرت السنون سراعاً وقد استعرث الدنيا نار الحرب العالمية الثانية ثم ما بعدها من حروب وادلهمت الخطوب، وعشناها أياماً مريرة وعسيرة، خشية معتد غاشم وسطوة حاكم ظالم (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) وما أن أُطيح أخيراً بالصنم، حتّى ازداد الخطب والليل ادلهم، فرّج الله عن المؤمنين بظهور المصلح المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وجعلنا من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والممتثلين لأوامره والمستشهدين بين يديه، كما في دعاء العهد.

٧. لقد وُفقت لتأليف عدة كتب، كما وفّقت لتقديم عدة كتب من تآليف الآخرين، وعربّت كتاباً وبعض الفصول من كتب فارسية.

٨. ولي بحوث في شتى فنون المعرفة من فقه وتفسير وحديث ورجال وتاريخ وأنساب وآداب.

٩. لقد حاولت بقدر ما وسعني أ نّي ما أضعت عمري فيما لا ينفعني حسب نظري، فلم أدخل في السياسة مطلقاً، ولا انتميت إلى أيّ حزب مهما كان الشعار براقاً والبرقع شفّافاً ولا إلى أيّ جمعية أو مؤسسة أيضاً، إيماناً عميقاً بصحة ما في أوّل الصحيفة السجادية من قول الإمام الصادق عليه السلام: (ما خرج ولا يخرج منّا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحدٌ ليدفَعَ ظلماً أو يُنعش حقاً إلاّ اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة فى مكروهنا وشيعتنا).

وفي التاريخ شواهد كثيرة على صحة ذلك.

١٠. وأقمت حياتي وقومتها . وليس من الغرور العلمي ولا التباهي . لو تحدثت فقلت إنّ تجربتي في الحياة كانت ناجحة ونافعة فيما رأيت خير نهج لحياة طالب العلم أن يستقيم، معتمداً على الربّ الكريم الرحيم، وينصرف مكباً على درسه وكتابه ولا يتمنى بلوغ الغاية من دون سلوك الطريق الموصل إليها. والعلم ليس حكراً على قوم دون قوم، ولا حصراً في فئة، ولا وراثة في الحياة، يورثها الآباء إلى الأبناء، فكم من عصامي ساد العظاميين بعلمه.

١١. ولقد كانت تمر بي خواطر وخوالج فأفزع إلى التنفيس عن نفسي من ضغطها بنظم قد لا يكون خاضعاً لبحور العروض، ولكنه على كل حال فهو معبّر عن حالة فيها تسجيل موقف، وقد تجمّع من ذلك ما سميته ديواناً.

١٢. ولقد أنعم الله عليَّ فهداني إلى سواء الصراط، فلم أرغب في حبّ الظهور ولا تباهيت بالغرور، ولولا أن التحدث بنعمة الله تعالى مأمور به فقال تعالى: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) لما ذكرت كثيراً ممّا مرّ ممّا يوحي بحبّ الذات وطموح النفس، ورحم الله البوصيري إذ يقول:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على
حبّ الرضـاع وإن تفطمه ينفطـم

١٣. ومن نعم الله تعالى علىَّ أن انصرفت إلى جانب البحث والتحقيق والتأليف، وفي ذلك تعويض خدماتي للناس عمّا يقوم به الغير في صراط تفعيل العلم في جهات أخرى، ربّما تكون المسؤولية الشرعية فيها أكبر وأخطر.

١٤. ومن نعم الله عليَّ تمكنت من ضبط هواي من الاندفاع وراء مغريات في الحياة كثيرة أُتيحت لي فرصتها، فأعرضت عنها خشية السقوط وسوء العاقبة وسوء الحساب.

وحسبي بهذا أكتفي، وفيما أظن أني عرضت صفحة من العمر كما عشتها من دون تزويق وأنا في نهاية الطريق، وحسبي بما عرضت صورة صادقة فيما حسبت، ربّنا لا تؤاخذني إن نسيت أو أخطأت.

المصدر: موقع الأئمة إثناعشر

أسئلة وردود

من الذي غسّل الإمام العسكري عليه السلام ؟!

السؤال: أودُّ أنْ استفسر عن تغسيل الإمام الحسن العسكري عليه السلام فأكثر الروايات تتحدث عن حادثة الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف مع عمّه جعفر في الصلاة على الإمام العسكري عليه السلام، ولكن لم أجد مصدرًا واحدًا يوضّح من قام بتغسيله عليه السلام. فإذا كان الإمام لا يغسله إلا إمام -وهي قاعدة يُؤكّدها البعض- فهل قام الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف بتغسيله؟

الردّ:

لا ريبَ في أنَّ الإمامَ المنتظَر عليه السلام هو مَن تصدَّى لتغسيل والدِه الإمامِ العسكريّ عليه السلام، ويكفي لإثباتِ ذلك الرواياتُ العامَّة التي استفاضَ نقلُها عن أهلِ البيت عليهم السلام والتي أفادت أنَّ الإمامَ أو الصدِّيقَ لا يُغسِّله إلا صدِّيقٌ مثلُه.

فمن ذلك: ما أوردَه الكلينيُّ في الكافي بسندٍ صحيح عَنِ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَنْ غَسَلَ فَاطِمَةَ؟ قَالَ: ذَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وكَأَنِّي اسْتَعْظَمْتُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِه فَقَالَ: كَأَنَّكَ ضِقْتَ بِمَا أَخْبَرْتُكَ بِه؟ قَالَ: فَقُلْتُ: قَدْ كَانَ ذَاكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ قَالَ: فَقَالَ: لَا تَضِيقَنَّ، فَإِنَّهَا صِدِّيقَةٌ ولَمْ يَكُنْ يَغْسِلُهَا إِلَّا صِدِّيقٌ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَرْيَمَ لَمْ يَغْسِلْهَا إِلَّا عِيسَى".

وأوردَها الشيخُ الطوسي في التهذيب وفي الاستبصار من طريقِه الصحيح إلى الكليني بذات السند، وأوردها الصدوقُ مرسلةً في كتابِه مَن لا يحضره الفقيه.

ومن ذلك: ما رواه القطبُ الراوندي في الخرائج والجرائح قال: روى أبو بصير، عن أبي جعفر قال: كان فيما أوصى به إليَّ عليٌّ بنُ الحسين عليه السلام أنَّه قال: يا بُني إذا أنا متُّ فلا يلي غُسلي غيرُك، فإنَّ الامامَ لا يُغسِّلُه إلا إمامٌ بعده..".

ومن ذلك: ما أورده في مختصر البصائر بسنده عن إبراهيم بن أبي سماك قال: كتبتُ إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام: إنَّا قد رَوينا عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ الامامَ لا يُغسِّلُه إلا الامام، وقد بلغنا هذا الحديثُ، فما تقولُ فيه؟ فكتبَ عليه السلام إليَّ: إنَّ الذي بلغَك هو الحقُّ".

والرواياتُ في ذلك مستفيضة وقد تلقَّاها الفقهاءُ بالقبول والاعتماد، فهي كافيةٌ لإثبات أنَّ الإمام لا يتولَّى تغسيلَه إلا الإمامُ الذي يليه، على أنَّ لدينا روايةً خاصَّة تصلحُ لتأييد أنَّ الإمام المهديَّ هو مَن تصدَّى لتغسيل والدِه الإمامِ الحسنِ العسكريّ عليه السلام أورد هذه الرواية الصفَّار في بصائر الدرجات عن أحمد بن محمد وأحمد بن إسحاق عن القاسم بن يحيى، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "لمَّا قُبض رسولُ الله صلى الله عليه وآله هبطَ جبرئيلُ ومعه الملائكةُ والروحُ الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال: فَفُتِحَ لأميرِ المؤمنين بصرَه فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض، يُغسِّلون النبيَّ معه، ويُصلّون معه عليه، ويحفرونَ له، واللهِ ما حفَرَ له غيرُهم حتَّى إذا وُضع في قبرِه، نزلوا مع مَن نزل، فوضعوه فتكلَّم وفُتح لأمير المؤمنين سمعه فسمعَه يُوصيهم به فبكى، وسمعهم يقولون: لا نألوه جهدًا، وإنَّما هو صاحبُنا بعدك إلا أنَّه ليس يُعايننا ببصره بعد مرَّتنا هذه، حتى إذا مات أميرُ المؤمنين عليه السلام رأى الحسنُ والحسينُ مثل ذلك الذي رأى، ورأيا النبيَّ صلى الله عليه وآله أيضًا يُعينُ الملائكةَ مثل الذي صنعوا بالنبيّ(ص) حتى إذا مات الحسنُ رأى منه الحسينُ مثل ذلك، ورأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وعليًّا عليه السلام يُعينان الملائكة، حتى إذا مات الحسينُ رأى عليَّ بن الحسينِ منه مثلَ ذلك، ورأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وعليًّا والحسنَ يُعينون الملائكة، حتى إذا مات عليُّ بنُ الحسين رأى محمدُ بن عليٍّ مثل ذلك، ورأى النبيَّ صلى الله عليه وآله وعليًا والحسنَ والحسينَ يُعينون الملائكةَ، حتَّى إذا مات محمدُ بنُ عليٍّ رأى جعفرٌ مثلَ ذلك، ورأى النبيَّ وعليًّا والحسنَ والحسينَ وعليَّ بن الحسين يُعينون الملائكة، حتى إذا مات جعفر رأى موسى منه مثل ذلك، هكذا يجري إلى آخرنا".

ورواه القطبُ الراوندي في الخرائج والجوارح عن عبد الرحمن بن كثير عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام.

فقولُه عليه السلام: "هكذا يجري إلى آخرِنا" صريحٌ في أنَّ ما وقع للإمام الحسنِ العسكري عليه السلام هو ذاتُه الذي كان قد وقعَ لآبائه عليهم السلام فالإمامُ الذي بعده وهو الإمامُ الحجَّةُ عليه السلام هو مَن تولَّى تغسيلَه وأعانَه على ذلك النبيُّ صلى الله عليه وآله والأئمةُ من آبائه عليهم السلام والملائكةُ عليهم السلام.

المصدر: موقع الأئمة الاثنا عشر

شهداء الفضيله

الشهيد الثاني رحمه الله عليه

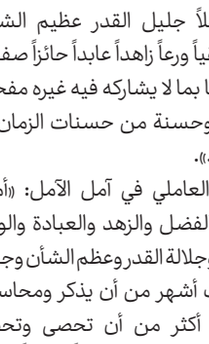

ولادته ونسبه

ولد في ١٣ شوال سنة ٩١١هـ في قرية جُبَع من توابع جبل عامل اللبنانية.

هو زين الدين بن نور الدين علي بن أحمد العاملي الجُبَعي، يرجع الشهيد الثاني إلى أسرة عرفت بالعلم والورع حتى وصف رجالها بسلسلة الذهب، منهم:

والده الشيخ نور الدين علي الذي يعد من أكابر عصره.

ولده الشيخ أبو منصور جمال الدين حسن المعروف بصاحب المعالم.

سبطه السيد محمد علي العاملي المعروف بصاحب المدارك.

أحفاده الشيخ علي والشيخ زين الدين أبناء الشيخ حسن صاحب المعالم.

أقوال العلماء في حقه

ترجم له صاحب أعيان الشيعة واصفاً إياه بقوله: «كان عالماً فاضلاً جليل القدر عظيم الشأن رفيع المنزلة تقياً نقياً ورعاً زاهداً عابداً حائزاً صفات الكمال متفرداً منها بما لا يشاركه فيه غيره مفخرة من مفاخر الكون وحسنة من حسنات الزمان أو من غلطات الدهر...».

وقال عنه الحر العاملي في آمل الآمل: «أمره في الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر ومصنفاته كثيرة مشهورة وكان فقيهاً محدثاً نحوياً قارئاً متكلماً حكيماً جامعاً لفنون العلم».

مشايخه

تتلمذ الشهيد الثاني على الكثير من الأعلام، منهم:

والده الشيخ علي بن أحمد العاملي الجُبعي، المتوفى ٩٢٥ هجري.

- الشيخ علي بن عبد العالي الميسي المتوفى ٩٣٨ هـ.

- الحكيم والفيلسوف الدمشقي الشيخ محمد بن مكي.

- السيد حسن بن جعفر الكركي تلمذ عليه في كرك نوح.

- شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي تلمذ عليه في مدينة دمشق.

- الشيخ أبو الحسن البكري.

و....

تلامذته

تملّذ عليه الكثير من الأعلام، منهم:

- صهره نورالدين علي بن حسين الموسوي العاملي؛

- السيد علي الحسيني الجزيني العاملي، المشهور بالصائغ؛

- الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي والد الشيخ البهائي؛

- السيد نور الدين الكركي العاملي؛

- بهاء الدين محمد بن علي العودي الجزيني، المعروف بابن العودي؛

و....

مؤلفاته

كتاب مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام ذكر له السيد صاحب أعيان الشيعة، ٧٩ مصنفاً، منها:

روض الجنان في شرح إرشاد الإذهان؛

مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام؛

الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية؛

منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، في آداب التعليم والتعلم وهو كتاب نفيس في بابه؛

كشف الريبة عن أحكام الغيبة؛

و....

شهادته

كان السبب في قتله أنّه ترافع إليه رجلان فحكم لأحدهما على الآخر فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضي صيدا وكتب القاضي إلى سلطان الروم أنّه قد وجد ببلاد الشام رجل مبدع خارج عن المذاهب الأربعة فأرسل السلطان رجلاً في طلب الشيخ وقال له: «ائتني به حياً حتى أجمع بينه وبين علماء بلادي فيبحثوا معه ويطّلعوا على مذهبه ويخبروني فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبي فجاء الرجل فأخبر أن الشيخ توجه إلى مكة فذهب في طلبه فاجتمع به في طريق مكة»، فقال له: «تكون معي حتى نحج بيت الله ثم افعل ما تريد. فلما فرغ من الحج سافر معه إلى بلاد الروم فقتله ذلك الرجل في مكان على ساحل البحر وأخذ الرجل رأسه إلى السلطان وألقى جسده في البحر فأنكر عليه وقال أمرتك أن تاتيني به حيّاً فقتلته». وذلك سنة ٩٥٥ هـ وذهب السيد الأمين في أعيان الشيعة الى القول بأن شهادته كانت سنة ٩٦٥ هـ.

علماء وأعلام

آية الله العظمى السيد محمد حسين المرتضوي الحسيني اللنكرودي قدس سره

إسمه ونسبه

هو السيد محمد حسين بن السيد مرتضى بن حسين بن سعيد محمد المرتضوي الحسيني اللنكرودي.

ولادته ونشأته ودراسته

ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٤٧ هجري قمري ونشأ على والده المجتهد ودرس عليه المقدمات الأدبية مع السطوح العالية وعليه تخرج ثم هاجر معه وأخوته إلى طهران سنة ١٣٦٥ هجري قمري وأشتغل والده بالتدريس وإمامة الجماعة، فحضر سيدنا المرجع المترجم له البحث الخارج في الفقه والأُصول والفلسفة عند ثلة من المراجع والعلماء منهم:

والده آيةالله العظمى الحجة السيد مرتضى بن حسين المرتضوي اللنكرودي؛ آية الله الفقيه الشيخ محمد تقي بن محمد بن علي الآملي الطهراني؛ العلّامة المتفنن الميرزا أبو الحسن بن محمد بن غلام الشعراني الطهراني؛ الفيلسوف الكبير الميرزا مهدي بن أبو الحسن إلهي قمشه إي الطهراني المتوفى سنة ١٣٩٣ هجري قمري.

ثم هاجر الى مدينة قم المقدسة سنة ١٣٦٧ هجري قمري لمتابعة دراسته في بحوث الخارج فحضر على ثلة من العلماء الأعلام منهم:

مرجع الطائفة الأكبر السيد حسين الطباطبائي البروجردي في الفقه؛ المرجع الديني الإمام السيّد روح الله الخميني في الأصول؛ المرجع الديني الشيخ عبد النبي بن محمد علي العراقي الأصفهاني في الأصول؛ آية الله العلامة المفسر السيد محمد حسين الطباطبائي في الفلسفة والتفسير.

ثم هاجر بعد ذلك الى مدينة طهران عام ١٣٧١ هجري قمري، وحضر على والده، ثم انتقل معه إلى مدينة قم المقدّسة بناءا على طلب زعيم الحوزة العلمية السيد حسين البروجردي من أجل تقوية الحوزة العلمية في قم، وتابع الحضور على والده، ومشايخه المار ذكرهم إلى سنة ١٣٨٠ هجري قمري.

تدريسه ونشاطاته

هاجر سيدنا المترجم له إلى مدينة طهران سنة ١٣٨٠ هجري قمري بناءا على طلب أهاليها، وحل محل والده وأشتغل بالتدريس وإمامة الجماعة وتولى الأوقاف ومن أهمها أوقاف مدرسة الحاج أبو الفتوح والتي كانت وقفيتها تنص على أن يكون متوليها أعلم علماء طهران، وباشر بتدريس المقدمات والسطوح إلى عام ١٣٨٦ هجري قمري حيث شرع في ذلك العام بتدريس البحث الخارج في الفقه والأُصول والمعارف الأخرى.

إجازاته:

نظرا لعلمه وفقاهته فقد إجازه جمع من المراجع والعلماء بالإجتهاد والرواية والأمور الحسبية منهم:

المرجع الديني السيد محمد هادي بن جعفر الميلاني بالإجتهاد؛ المرجع الديني السيد محسن الحكيم الطباطبائي بالإجتهاد؛ آية الله العلامة الحجة السيد أبو الحسن بن إبراهيم الحسيني الرفيعي القزويني المتوفى سنة ١٣٩٥ هجري قمري بالإجتهاد والرواية وهو آخر من بقي من الرواة عنه؛ والده آية الله العلامة السيد مرتضى بن حسين المرتضوي اللنكرودي المتوفى سنة ١٣٨٣ هجري قمري بالإجتهاد والرواية؛ المرجع الديني السيد محمد رضا الكلبايكاني الموسوي بالرواية؛ شيخ الرواية والإجازة في عصره المرجع الديني السيد شهاب الدين المرعشي النجفي بالرواية؛ آيةالله العلامة الحجة السيد أحمد بن علي أصغر الشهرستاني الحسيني بالرواية؛ المرجع الديني الإمام السيّد روح الله الخميني بالشهادة العلمية والأمور الحسبية.

مؤلفاته المطبوعة

لديه العديد من المؤلفات المطبوعة المعروف منها:

١. ست رسالات فقهية استدلالية.
٢. الرسائل التسع في الفقه الاستدلالي.
٣. قرة العين في إلهيات الثقلين.
٤. التولي والتبري.
٥. الإتقان والنصر في تفسير سورة العصر.

مؤلفاته المخطوطة

ولديه العديد من المؤلفات المخطوطة المعروف منها:

١ ـ الفوائد الفقهية.
٢ ـ المصابيح.
٣ ـ تعليقة على العروة الوثقى.

وفاته

توفي في يوم الأثنين الثاني من شهر ربيع الأول لسنة ١٤٤٥ هجري قمري الموافق ١٨ / سبتمبر الشهر التاسع / ٢٠٢٣ ميلادي عن عمرٍ ناهز ٩٧ عاماً قضاها في العلم والتعليم والتأليف والتصنيف والإرشاد والتربية.

بقلم: الشيخ فراس مرعي

مقالة

البداء في المنظور الإسلامي

▫ الشيخ محمد علي بيشكر

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

البداء في اللغة هو الظهور بعد الخفاء. بدأ الشيء أي ظهر وبدا، يبدو، بدواً وبداء وبداءة الشيء؛ أي ظهر. والبداء: تجدد العلم وبدا له الأمر: خطر له فيه رأي وهذا ما ورد في معاجم اللغة العربية، ومعناه الظاهر فعل الشيء ثم محوه وورد في القرآن (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) وقوله تعالى: " وبدا لهم من سيئات ما كسبوا) وأيضاً قوله تعالى: (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الأيات) ومعناه أيضاً: ظهور شيء بعدما كان خافياً على المخلوقين دون الخالق، والشيعة الإمامية تعتقد بالبداء وأنه من المسلمات وقد حثت روايات أهل البيت عليهم السلام على الإعتقاد به، وأعتبر علماء الشيعة أن النسخ والبداء صنوان غير أن الأول في التشريع والثاني في التكوين،والبداء هو التقدير الإلهي، لتغيير حكم على الإنسان، وإخضاعه للقدر الإلهي المشروط، فيكون بداء يجري في حدود الأقدار التي خلقها الله، وليس خارجها تجاوباً مع الإدارة التي من بها الله على الإنسان ليكون مسؤولاً عن أفعاله.

إنطلاقاً من أن البداء في مفهومه الظاهر وللوهلة الأولى ينافي علم الله المطلق وأزليته،وخلاصته: أن الله يبدو له في أمر فيغيره وفي شيء آخر فيستبدله، وطبيعي أن ترفض مثل هذه العقائد فيما لو بقينا على المعنى الظاهري للبداء دون التعرض لمفهومه الحقيقي وما ذهب إليه أرباب هذا المعتقد،والشيعة الإمامية وأتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام براء من معنى البداء القائل بالعلم بعد الجهل براءة يوسف عليه السلام من الذي ألصق به.

إن الآخرين من غير الإمامية الإثنى عشرية قد يعذرون في بعض المواطن وقد لا يعذرون في مواطن أخرى ومشكلة الأغلب من الناس أنهم لا يقرأون وإن قرأوا فيحكمون جزافاً على آراء الأخرين، هذه عادة البشر في الأولين والآخرين، لكن في حقيقة الأمر وبالوجدان التاريخي والبياني نعتبر أنهم لم يحسنوا فهم مرادنا من البداء بل لم يتأملوا ولو قليلاً في كلمات وآراء العلماء الأجلاء من شيعة أهل بيت النبوة والعصمة وإلا لما نسبوا إلينا هذه الفرية، وممن نسب ذلك إلى الشيعة الفخر الرازي في تفسيره الكبير عند تفسير قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) قال الرازي: "قالت الرافضة البداء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما أعتقد " وقد حكى الرزاي في خاتمة كتاب (المحصل ص ٣٦٥) عن سليمان بن جرير كلاماً يقبح منه ذكره ولا يحسن سطره وهذا كما ترى بالوجدان محض أفتراء وكذب على الشيعة، وكيف كان فلا يلزم من الإلتزام بالبداء الجهل عليه تعالى فكيف وأن الشيعة ملتزمون به فمع ذلك يقولون بإستحالة الجهل عليه سبحانه وتعالى.

وفي هذا المجال أعتبرت بعض الروايات أن من زعم أن الله تبارك وتعالى يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فأبرؤا منه، وبعضها الآخر تصفه بالكافر.

أراء العلماء في البداء

. يقول أستاذ العقائد آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي "قده" البداء المنسوب إلى الله جل شأنه بمعنى: ظهر لله من المشيئة ما هو مخفي على الناس، وعلى خلاف ما يحسبون، وهذا ما يقتضيه العقل ويشهد له من صريح الأحاديث ما رواه في " أصول الكافي " في صحيح عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام:" ما بدا الله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له ".

ورواية عمرو بن عثمان، عنه عليه السلام: إن الله لم يبد له من جهل " وصحيحة منصور بن حازم: (سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال عليه السلام:(لا من قال هذا فأخزاه الله) قلت: أرأيت ما كان وماهو كائن إلى يوم القيامة،أليس في علم الله؟ ! قال عليه السلام بلى قبل أن يخلق الخلق".

. يقول الإمام السيد شرف الدين قدس سره أنه قد التزام الشيعة الإمامية بالبداء في التكوينيات وخالف في ذلك العامة وقالوا بإستحالة البداء فيها لأستلزامه الجهل على المولى تبارك وتعالى، زعمهم أن الله قد يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الامر بخلاف ما أعتقد.. وهذا إفك وبهتان وظلم لآل محمد وعدوان، وحاشا أهل البيت وأولياءهم أن يقولون بهذا الضلال المبين المستحيل على الله تعالى:

فالشيعة براء من هذه التهمة إذ لا يمكن بأي حال من الاحوال لا بل يستحيل تصوير نسبة الجهل وعدم التقدير من الله سبحانه وتعالى.. إن علم الله عين ذاته حاصل ما تقوله الشيعة الإمامية: إن الله عز وجل قد ينقص الرزق وقد يزيد فيه وكذا الأجل والصحة والمرض والسعادة والشقاء والمحن والمصائب والإيمان والكفر وسائر الأشياء كما يقتضيه قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

. روى الشيخ الصدوق في كتاب (إكمال الدين وإتمام النعمة) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال " من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه)

. قال الشيخ المفيد في كتاب (أوائل المقالات): أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون في النسخ وأمثاله، من الإفقار بعد الإغناء والأمراض بعد الإعفاء وبالإماته بعد الإحياء وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الآجال والأرزاق والنقصان منا بالأعمال..مصداقاً لقوله تعالى: (وقال ربكم أدعوني أستجب لكم) وروى الترمذي في سننه:أن النبي "ص" قال: " لا يرد القضاء إلا بالدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر ".

. ولقد أحسن أستاذ العلماء والمجتهدين مولانا المحقق المدقق السيد الخوئي (طيب الله ثراه) في قوله: وعلى الجملة فإن البداء بالمعنى الذي تقوله به الشيعة الإمامية هو من الإبداء (الإظهار) حقية، وإطلاق لفظ البداء عليه مبني على التنزيل والإطلاق بعلاقة المشاكلة، وقد أطلق بهذا المعنى في بعض الروايات من طرق أهل السنة،روى البخاري بإسناده عن أبي عمرة، أن أبا هريرة حدثه أنه سمع رسو الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول " إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأعمى وأقرع، بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص...

وقد وقع نظير ذلك في كثير من الإستعمالات القرآنية كقوله تعالى: (الآن علم الله أن فيكم ضعفا) وقوله تعالى: (لتعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) وقوله تعالى(لنبلوهم أيهم أحسن عملا)وما أكثر الروايات من طرق أهل السنة في أن الصداقة والدعاء يغيران القضاء.

وهذا مذهب عمر بن الخطاب وأبن مسعود وأبي وائل وقتادة رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان كثير من السلف الصالح يدعون ويتضرعون إلىالله تعالى أن يجعلهم سعداء لا أشقياء في أدعيتهم المأثورة، وورد في السنين الكثيرة أن الصدقة على وجهها وبر الوالدين وإصطناع المعروف يحول الشقاء إلى سعادة ويزيد في العمر، وصح عن أبن عباس أنه قال: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر.

أثر البداء في النفس

والقول بالبداء: يوجب إنقطاع العبد إلى الله وطلبه إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية، فإن إنكار البداء والإلتزام بأن ما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة. دون إستثناء. يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه، فإن ما يطلبه العبد من ربه إن كان قد جرى قلم التقدير بإنفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة إلىالدعاء والتوسل، وإن كان قد جرى القلم بخلافه لم يقع أبداً، ولم ينفعه الدعاء ولا التضرع، وإذا يئس العبد من إجابة دعائه ترك التضرع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك، وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي وردت عن المعصومين عليهم السلام أنها تزيد في العمر أو في الرزق أو غير ذلك مما يطلبه العبد، وهذا هو سر ما ورد في روايات كثيرة من أهل البيت عليهم السلام من الإهتمام بشأن البداء، فقد روى الصدوق في كتاب (التوحيد) بإسناده عن زرارة عن أحدهما قال عليه السلام: ما عبد الله عز وجل بشيء مثل البداء " وروي بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " ما عظم الله عز وجل بمثل البداء " ويقول الإمام الصادق عليه السلام على ما في معتبرة مالك بنأعين الجهني: " لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه " (الكافي ج١/ ص ١٤٨).

السر في هذا الإهتمام: إن إنكار البداء يشترك بالنتيجة مع القول بأن الله غير قادر على أن يغير ما جرى عليه قلم التقدير، .كما ذهبت إليه اليهود. تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

. وقال السيد محسن الأمين العاملي رضوان الله تعالى عليه في كتابة نقض الشيعة " أجمع علماء الإمامية في كل عصر وزمان، على أن البداء بهذا المعنى (أي العلم بعد الجهل) بأطل ومحال على الله تعالى، لأنه يوجب نسبة الجهل إليه تعالى، وهو منزه عن ذلك تنزيهه عن جميع القبائح،وعلمه محيط بجميع الأشياء، إحاطة تامة، جزئياتها وكلياتها، لا يمكن ان يخفى عليه شيء ثم يظهر له " وقال الشيخ محمد جواد مغنية قدس سره أتفق المسلمون بكلمة واحدة على جواز النسخ، ووقوعه في الشريعة الإسلامية، ومعناه في إصطلاح المفسرين وأهل التشريع أن الله يشرع حكماً كالوجوب أو التحريم،ويبلغه لنبيه وبعد أن يعمل النبي وأمته بموجبه يرفع الله هذا الحكم وينسخه ويجعل في مكانه حكماً آخر لإنتهاء الأسباب الموجبة لبقاء الأول وإستمراره، وهذا النوع من النسخ ليس بعزبز، فإنه موجود في الشرائع السماوية والوضعية، وإستدل المسلمون على جوازه ووقوعه بأدلة منها أن الصلاة كانت في بدء الإسلام لجهة بيت المقدس ثم نسخت وتحولت إلى جهة البيت الحرام (فول وجهك شطر المسجد الحرام) ونتساءل إذا جاز النسخ على الله بهذا المعنى في الأمور التشريعية فهل يجوز عليه ذلك في الأشياء الكونية والطبيعية، وذلك بأن يقدر الله ويقضي بإيجاد شيء في الخارج، ثم يعدل ويتحول عن قضائه وإرادته؟ أتفق المسلمون جميعاً علىعدم جواز النسخ في الطبيعيات، لأنه يستلزم الجهل وتجدد العلم لله، وحدوثه بعد نفيه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ويسمى هذا البداء الباطل وقد نسبه البعض إلىالإمامية جهلاً أو تجاهلاً رغم تصريحاتهم المتكررة بنفيه.

. وأوضح الشيخ المظفر في كتابه (عقائد الإمامية): معنى البداء . في نظري . أن الله سبحانه يطور خلقه وفق مقتضيات البيئة والزمان اللذين خلقهما وأودع فيهما سر التأثير على خلقه . ولو ظاهراً . إن القول بالبداء هو المقالة الوحيدة التي نستطيع بهديها أن يفسر سر الناسخ والمنسوخ في القرآن.

. وقد اجاد أستاذ الفقهاء الإمام المحقق السيد الخوئي قدس سره في كتابه (البيان في تفسير القرآن) بما أفاده في قضية البداء وتقسيمه للقضاء الإلهي إلى ثلاثة أقسام حيث يقول "قده" إن البداء الذي تقول به الشيعة الإمامية إنما يقع في القضاء غير المحتوم،أما المحتوم منه فلا يتخلف، ولا بد من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء، وتوضيح ذلك أن القضاء على ثلاثة أقسام:

الاول: قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه، والعلم المخزون الذي أستاثر به لنفسه، ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام أن البداء إنما ينشأ من هذا العلم.

روى الشيخ الصدوق في (العيون) بإسناده عن الحسن بن محمد النوفلي أن الرضا عليه السلام قال لسليمان المروزي: " رويت عن أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: أن لله عز وجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه... ".

الثاني: قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتماً، ولا ريب فيأن هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء،وإن أفترق عن القسم الأول بأن البداء لا ينشأ منه.

قال الإمام الرضا عليه السلام: لسليمان المروزي . في الرواية المتقدمة . عن الصدوق: " إن علياً كان يقول: العلم علمان: فعلم علمه الله ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله فإنه يكون،ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد من خلقه يقدم منه ما يشاء، ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء " وروي العياشي عن الفضيل، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام قول " من الامور أمور محتومة جائية لا محالة ومن الأمور أمور موقوفة عن الله يقدم منها ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحد . يعني الموقوفة . فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه،ولا نبيه،ولا ملائكته ".

الثالث: قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج إلا أنه موقوف علىأن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه،وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

. ويضيف الإمام الخوئي قدس سره والبداء إنما يكون في القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو والإثبات، والإلتزام بجواز البداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وليس في هذا الإلتزام ما ينافي عظمته وجلاله.. والقول بالبداء هو الإعتراف الصريح بأن العلم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه،وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين، فعلم المخلوقين . وإن كانوا أنبياء أو أوصياء لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإن بعضاً منهم وإن كان عالماً . بتعليم الله إياه . بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي إستأثر به لنفسه، فإنه لا يعلم بمشيئة الله تعالى . لوجود شيء . أو عدم مشيئته إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم.

وعلى التحقيق فالبداء، هو إظهار شيء في عالم التكوين من جانب الله عز وجل كان مكتوماً على الناس فهم كانوا لا يرونه أو يرون خلافه، فبإظهاره . تبارك وتعالى . يظهر عندهم ففي الواقع البداء إظهار من قبل الله . على لسان المعصومين عليهم السلام وظهور عن الناس فله وجهان بإعتبارين ونظرتين مختلفتين فلا تنافي بينهما.

التنصيص على الإمامة

إن النصوص الواردة في أسماء الأئمة المعصومين الأثنى عشر عليهم السلام هي بحد الإستفاضة أو التواتر وكلها متفقه في العدد والأسماء، وعليه فكل ما يوهم خلاف ذلك إما مردود سنداً وإما ممنوع ومخدوش من حيث الدلالة.

إن الرواية التي تتحدث عن طور البداء في شأن الإمام العسكري عليه السلام . مع غض النظر عن البحث السندي فيها . ليس فيها ما ينافي القواعد التي ذكرناها، بل فيها تلويح بأن الناس كانوا يرون الإمامة بعد الإمام الهادي عليه السلام في أبنه الأكبر السيد محمد سبع الدجيل، وثم بعد وفاته صرح الإمام الهادي عليه السلام بخطأ ما ذهبوا إليه بعد ما تبين عندهم أيضاً ذلك، والذي يدل على ما قلنأنه لا يوجد أي تصريح من الإمام الهادي عليه السلام أو آبائه بإمامة السيد محمد حتى يفرض تبديل كلامهم عليهم السلام حينئذ، بل أن الشيعة ومن منطلق إرتكازاتهم الموجودة كانوا يعتقدون بإمامة الولد الأكبر، ولكن الله ومن منطلق علمه الأزلي ووجود المصالح الإلهية كان لا يرى ذلك وفي نفس الوقت المصلحة العليا تقتضي أن لا يصرح بهذا الموضوع قبل وفاة السيد محمد، ولا يخفى أن المصلحة قد تكون هي بيان مقام السيد محمد وعظمته عن الشيعة حتى يعرفوه بحد معرفتهم للإمام عليه السلام أو أن المصلحة كانت في إخضاع الشيعة للإختبار الإلهي في طاعتها وولائها لله عز وجل والأئمة المعصومين عليهم السلام أو غير ذلك.

ولا بأس أن نشير إلى ورود رواية بنفس المضمون في شأن الإمام الكاظم عليه السلام لتدل على حدوث البداء له بالنسبة إلى أخيه الأكبر إسماعيل،والبحث في هذه الرواية كسابقتها، وبالجملة فالإعتقاد والإلتزام بالبداء لا يناقض الأمور الحتمية واليقينية كما ذكرنا.

محصلة القول بالبداء

. إن المحور والإثبات في الآية الكريمة (يمحو الله ما يشاء ويثبت) ليس المراد منها إفناء الموجود وإبقاؤه أو تجديد موجود آخر، وأن البداء والمحو لا يتعلق بما في أم الكتاب، ولا بما يخبر الله به أنبياءه والأئمة، ولا بما يخبرون به عن الله من أنباء الغيب، ولا يخبرون عما هو معرض للبداء والمحو صلوات الله وسلامه عليهم.

. وختاماً نود أن نشير إلى أن هذا المفردة من عقيدتنا ليست بالأمر الغريب المستهجن، بحيث يحسبها الجاهل بدعة لا صلة لها بالدين مع أن الامر بعكس ذلك بالإضافة إلى أننا لا نحسب أنفسنا في معرض الإتهام ثم نهب للذود والدفاع عما نعتقده لنظهر للآخرين صفاء العقيدة من كل شائبة، لسنا بحاجة إلى كل ذلك ما دام أننا نملك الكثير متن الأدلة النقلية والعقلية التي تظهر المراد من البداء بشكل واضح لا ليس فيه، ولكن المؤسف التقول والتعسف حتى لو بقينا نصدح ليل نهار بالتوضيح والإيضاح وكأنه كتب علينا أن يفرض علينا ما لا نلتزمه... والإنصاف يقتضي الرجوع إلى أهل المعتقد لا أن تسقط عليه الإتهامات ! والحمد لله..

المصدر: مجلة اللقاء، الموقع: هيئة علماء بيروت

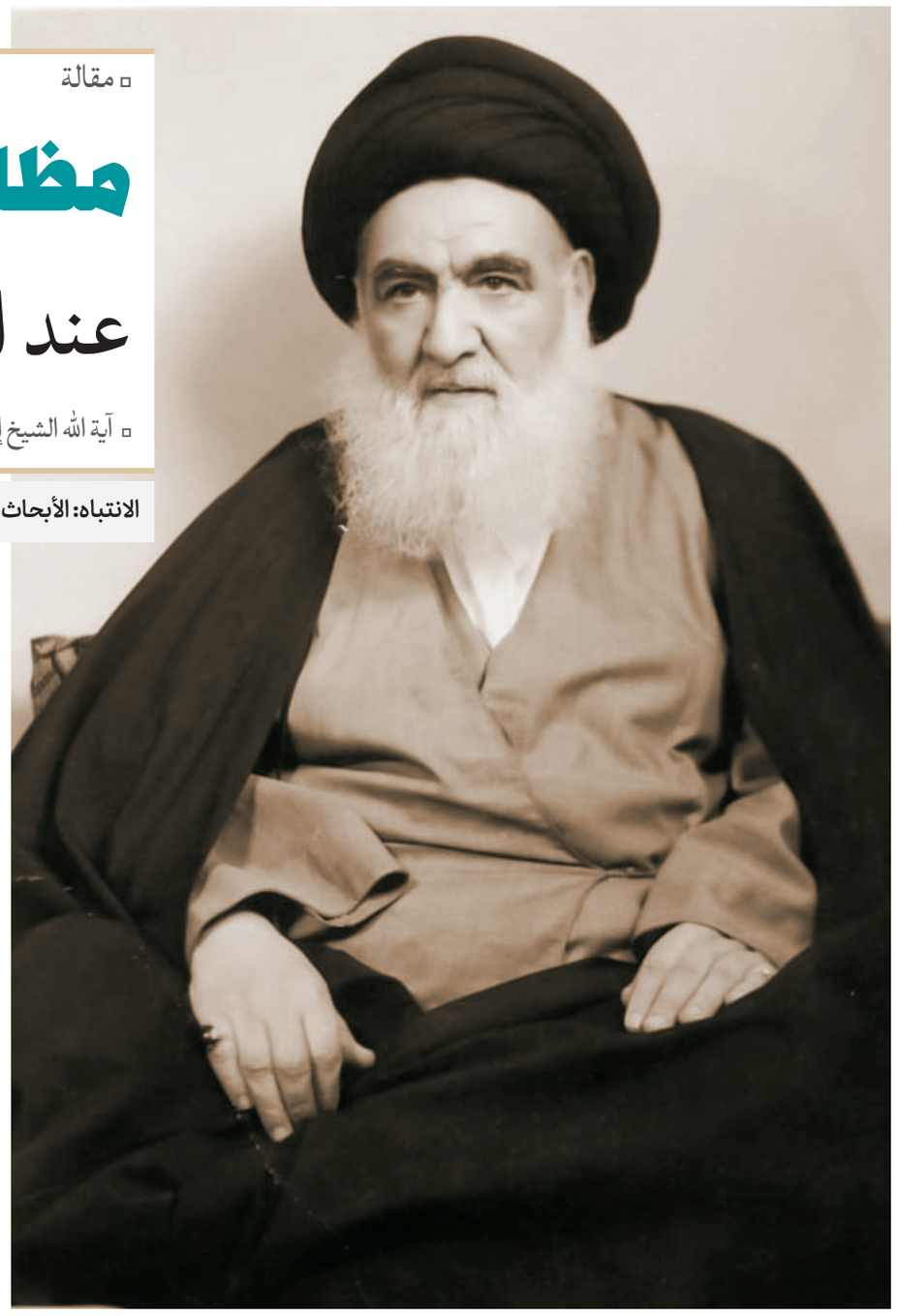

مقالة

مظاهر الإبداع الأصولي عند السيد الخوئي

آية الله الشيخ إسحاق الفياض

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

مدرسة النجف الأشرف في طليعة المدارس التي ازدهرت فيها الحركة العلمية واشتهرت بعلمائها ونشاطاتهم الفكرية، وهي مدينة العبقريات والتاريخ؛ إذ تخرّج من لدن زمان شيخ الطائفة الطوسي إلى عصرنا الحاضر آلاف العلماء الأفذاذ وزعماء الفقه الإسلامي وأئمة الأصول والحديث والتفسير، وفي مقدّمتهم المرجع الديني الأعلى للعالم الإسلامي وزعيم الطائفة سيدنا الأستاذ الأعظم سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (١٩٩٢م).

فقد كان بحقّ رجل العلم والتاريخ والفكر، وتمثالاً للعدالة والاستقامة بلا منازع، وكانت فيه قدسيّة كبيرة ونفسية سامية مزوّدة بملكات فاضلة وصفات حميدة وطاقات ذاتية قلّ نظيرها، وكان مخلصاً في عمله مجدّاً مثابراً، لا تحرّكه العواصف ولا العواطف يمنةً ويسرة، ولا تزعزعه المشاكل والصعاب مهما كان لونها، ومن صفاء روحه وورعه وتقواه عدم إشغال باله إلاّ بمحاسبة نفسه أمام الله تعالى، وعدم اهتمامه بما قيل أو يُقال في حقّه؛ فقد رافقته قرابة خمسة وثلاثين عاماً، فما رأيته ولا سمعته قطّ تجرّأ على أحد، أو انتقص من آخر، وليس هذا إلاّ دليلاً على سموّ النفس ورفعة التقوى.

أمّا ما يتعلق بأفكاره وآرائه، فقد جمع عمق الفكرة إلى سلامة الذوق ودقّة النظر، جمالَ البيان والتعبير، وكانت لديه موهبة رائعة ومقدرة علمية عالية، ففي عهده تجلّت الحركة العلمية النابضة بالأفكار والآراء وهو قُطب رحاها، فكان بعيد الغور، عميق الأثر، يعرف كيف يتصرّف في المسائل العويصة والقواعد المعقّدة . نظرياً وتطبيقياً . من مختلف الجهات، وكانت مهارته العلمية ونبوغه الفكريّ باديان من خلال عرض المسائل الصعبة الغامضة عليه وكيفية تلقّيه لها، وسرعة انتقاله إلى نكاتها ورموزها ودقائقها، واستيعابه لمختلف نواحيها، ومن ثم الاتيان بحلّ دقيق وجوابٍ متقن رصين، وذلك بأسلوبٍ جذاب بليغ، وعرض شائق رفيع، وذوق أدبي سليم، حيث كان مسيطراً على المسائل مهما كان نوعها ودرجتها من التعقيد، فكان العلم ينحدر من منبره ويفور من معدنه فوران الماء من منبعه والطيب من مسكه.

وكانت له اليد الطولى في الجدل والنقاش، فقد أبدى مقدرةً عالية ومهارة فنية فائقة بجودة إدراكه ودقّة استيعابه المسائل من جوانبها كافّة، المثبتة والنافية، وكيفية اقتحامها وردّها على الخصم والخروج عنها، فلذا كلّما ردّت عليه المسألة ردّها بأسلوب آخر، وهذا لا يكشف إلاّ عن ذهنيته النقّادة وقدرته العلمية، وأنه مجهّز بطاقات غزيرة من العلم والذكاء الحادّ.

من هنا، ينبغي أن يُقال في حقّه: إن مقام ثبوته أقوى وأرقى من مقام إثباته، رغم أن علوّ مقام إثباته قد أصبح جليّاً وظاهراً كظهور الشمس في رابعة النهار، وخير دليل على ما أقوله مواظبة العلماء والفضلاء على دروسه ومحاضراته في الحوزة العلمية الكبرى في النجف الأشرف، واشتياقهم لحضور أبحاثه وهضم أفكاره، فقد تخرّج على يديه جمهرة كبيرة من أعلام الفضل وفطاحل العلم وقادة الفكر ورموز الإبداع الذين بيدهم اليوم زمام الدراسات العليا في الفقه والأصول في الحوزات العلمية في أرجاء العالم الإسلامي، حيث تدور أبحاثهم حول أفكاره القيّمة وآرائه الدقيقة، ونظرياته العميقة، أصولياً وفقهياً، نظرياً وتطبيقياً، دورانَ الأرض حول نفسها، فحسبه فخراً هذا الثمر العظيم والنتاج الجبّار.

زيادةً على ذلك، لا يمكن لمثله أن يقف عند هذا الحدّ، بل سار إلى الأمام بخطواتٍ حثيثة، ودخل ميدان الإبداع مفجّراً ينابيعه، فأبدع أفكاراً متألّقة ونظريات حديثة في الأبحاث الأصولية والفقهية.

وأقدّم هنا . على سبيل المثال . مجموعةً من إبداعاته وبلورة أفكاره في هذين المجالين، كمّاً وكيفاً.

▪ نماذج من إبداعات المحقّق الخوئي:

نظرية التعهّد ومسألة الوضع اللغوي

حيث كانت مسألة الوضع من أهم المسائل الاجتماعية في كلّ مجتمع عقلائي منذ نشوء الإنسان على وجه الكرة الأرضية، على أساس أن الإنسان منذ بداية نشوئه كان بحاجة إلى استخدام ظاهرة اللغة في حياته وسيلةً للتفاهم مع الآخرين وإبراز مقاصده ونقلها إليهم، وبما أن حياة الإنسان قد تطوّرت وتكاملت وتعمّقت عصراً بعد عصر وتوسّعت قرناً بعد آخر من مختلف جهاتها، فبطبيعة الحال يتطلب الأمر تطور ظاهرة اللغة وتكاملها وتوسعها بما يناسب ذلك؛ لأنهما مترابطان بترابطٍ متبادل.

ولمّا رأى السيد الخوئي أن الوضع في ضوء تفسير المشهور لا ينسجم مع مكانة هذه المسألة وأهميّتها لدى العقلاء أبدى نظريةً جديدة متكاملة كمّاً وكيفاً، وهي نظرية التعهّد على أساس أنّها بنفسها نظرية عقلائية تتناسب مع مكانة هذه المسألة، وتتميّز عن غيرها بما يلي:

أولاً: إنها عبارة عن التلازم بين اللفظ الخاص والمعنى المخصوص المحقّق للدلالة بقضية شرطيّة يتعهّد بها العقلاء في كلّ مجتمع على طول التاريخ، وطرفاها: النطق باللفظ، وقصد إفهام المعنى؛ وعلى أساسه ينفي المحقق الخوئي وجودَ أيّ داعٍ آخر للنطق باللفظ سوى قصد الإفهام.

ثانياً: ان الدلالة الناتجة عن الوضع على أساس هذه النظرية دلالةٌ تصديقية عقلائية، لا تصوّرية محضة؛ لأن اللفظ يكشف . بعد التعهّد المذكور . كشفاً تصديقياً عن قصد المتكلم لإفهام المعنى، وأمّا الدلالة التصوّرية بين اللفظ والمعنى فهي لا تستند إلى الوضع بالمعنى المذكور، بل هي نتيجُ للأنس الذهني بينهما.

ثالثاً: إنّ كلّ مستعملٍ يصبح واضعاً حقيقةً في ضوء هذه النظرية؛ لأنّ الوضع عبارة عن التعهّد، والفرض تعهّد كلّ مستعملٍ بأن لا ينطق باللفظ إلاّ عند إرادة إفهام معنى خاص قائم بنفسه.

نظرية الإبراز ومسألة الإنشاء

حيث كان التفسير المشهور للإنشاء عبارة عن إيجاد المعنى باللفظ، رآه السيد الخوئي ناقصاً غير تام؛ فأبدى نظريةً جديدة تناسب مكانة المسألة وأهميّتها لدى العقلاء وآثارها الاجتماعية أيضاً، وهي نظرية الإبراز، أي أن الإنشاء عبارة عن إبراز الأمر الاعتباري النفساني بمُبرزٍ ما في الخارج من قولٍ أو فعل، وتتميّز هذه النظرية عن نظرية الإيجاد بأن الأولى مدلولٌ تصديقيّ للفظ، والثانية مدلول تصوّري، وتترتّب على هذه النظرية آثار مهمة:

الأثر الأول: إن مدلول الأوامر والنواهي على أساس هذه النظرية عبارة عن إبراز الأمر الاعتباري النفساني، دون الوجوب والحرمة، فإن الحاكم بهما في مواردهما هو العقل بملاك صدورهما من المولى بعنوان المولويّة، إذا لم تكن قرينة على الترخيص.

الأثر الثاني: إمكان الالتزام بالشرط المتأخّر على أساس أنّ الحكم الشرعي في ضوء هذه النظرية أمر اعتباري لا واقع موضوعيّ له، ما عدا اعتبار من بيده الاعتبار، وعليه فلا مانع من اعتباره مشروطاً بشرطٍ متأخر، كما يعتبره مشروطاً بشرطٍ مقارن.

الأثر الثالث: عدم المضادّة بين الأحكام الشرعية بأنفسها وذواتها؛ لأنها أمور اعتباريّة لا واقع لها حتى تتصوّر المضادّة بينها، فتنحصر المضادّة بين ملاكاتها في مرحلة الملاك، وبينها في مرحلة الامتثال، أمّا في مرحلة الجعل فلا.

الأثر الرابع: تقتضي هذه النظرية عدم اعتبار كون المبرِز لفظاً أو صيغةً خاصة، فإن كان ذلك فهو بحاجة إلى دليل، وإلاّ فمقتضى القاعدة كفاية كون المبرِز إشارةً أو فعلاً، بينما مقتضى نظرية المشهور اعتبار اللفظ، وأمّا كفاية غير اللفظ فهي بحاجة إلى دليل، فإن قام دليل على الكفاية كالسيرة أو نحوها فهو، وإلاّ فيكفي.

نظرية التحصيص ومسألة وضع الحروف

بعد انتقاده سائر النظريات في هذه المسألة، الواحدة تلو الأخرى، انتقاداً موضوعياً، أبدع الإمام الخوئي نظريّة التحصيص فيها، وتعني أنّ الحروف موضوعةٌ للدلالة على إرادة تفهيم تحصيص المفاهيم الإسمية وتضييقها، وتتميّز هذه النظرية عن تلك النظريات في أنّ مدلول الحروف في ضوئها يكون تصديقياً لا تصوّرياً فحسب، وأمّا في ضوء سائر النظريات فهو تصوّري لا تصديقي، ولذلك تعتبر هذه النظرية من حلقات نظرية التعهّد، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً.

نظرية عدم جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية مطلقاً

رفض الإمام الخوئي جريان الاستصحاب في الشبهات الحكمية حتى لو كانت جزئيةً، على خلاف نظريّة المشهور، التي ترى جريانه فيها مطلقاً، وقد قام بإبداع هذه النظرية عبر التفاتةٍ كريمة منه إلى مسألةٍ دقيقة تبرّرها، وهي أن الاستصحاب في الشبهات الحكمية معارَضٌ باستصحاب عدم سعة الجعل، فيسقط من جهة المعارضة.

من هنا، غيّرت هذه النظرية مجرى تاريخ الاستصحاب في الشبهات الحكمية، وتركت لذلك تأثيرات كبيرة على أبواب الفقه كافّة.

نظرية التعارض ومسألة الواجبات الضمنيّة

عمد مشهور الأصوليين هنا إلى تطبيق قواعد باب المزاحمة، وذلك فيما إذا لم يتمكّن المكلّف من الجمع بين اثنين منها، لكن السيد الخوئي انتقد هذه النظرية مبدياً نظريةً أخرى، وهي نظرية التعارض فيما إذا لم يتمكّن المكلّف من الجمع بين الواجبين الضمنيّين، على أساس أن الأمر الأوّل قد سقط جزماً بسقوط متعلّقه، وعليه فإذا قام دليلٌ على جعل أمر آخر كما في باب الصلاة، فإن عيّن متعلقه فهو، وإلاّ فمردّد بين الفاقد لهذا الجزء أو ذاك، وعليه تقع المعارضة بين إطلاق دليلي الجزءين.

زيادة في أقسام الاستصحاب

أبدع الإمام الخوئي قسماً رابعاً من أقسام استصحاب الكلّي في مقابل المشهور؛ حيث حصروا أقسامه في ثلاثة، ولهذا الأمر آثار عملية في أبواب الفقه.

نقد نظرية الشهرة الفتوائية على مستوى الجبر والوهن

المعروف بين الأصوليين أنّ الشهرة الفتوائية إذا قامت على خلاف رواية معتبرة، وكانت الرواية في متناول أيديهم، فإنّها تكشف عن عدم حجيّتها وخروجها عن دليل الاعتبار، وإن كانت مستندةً إلى رواية ضعيفة فيها، فإنّها تكشف عن حجيّتها وصدورها عن المعصوم عليه السلام، وقد جرى عملهم على أساس هذه النظرية في ممارساتهم الاستنباطية والتطبيقيّة في المسائل الفقهية على طول التاريخ.

أمّا الأستاذ الخوئي، فطرح . انطلاقاً من نبوغه الفكري . نظريةً جديدة أكثر شموليّةً ودقّةً وعمقاً، وذلك في ضوء نقطتين: إحداهما بمثابة منع الصغرى، والأخرى بمثابة منع الكبرى.

أمّا الأولى، فلأنّ الشهرة الفتوائية في المسألة التي تصلح أن تكون جابرةً فيها تارةً لنقاط ضعف الرواية، وكاسرةً تارة أخرى لنقاط قوّتها، هي الشهرة الفتوائية عند الفقهاء المتقدّمين المقاربين . عصراً . لزمان أصحاب الأئمة (وحملة الأحاديث، لا الفقهاء المتأخّرين؛ حيث لا قيمة للشهرة بينهم، إلاّ أنّه لا طريق لنا قطّ إلى إحراز إعراض المتقدّمين عن رواية في مسألةٍ ما، على الرغم من صحّتها، واستنادهم إلى رواية فيها على الرغم من ضعفها؛ لأن الطريق إلى ذلك منحصرٌ بالرجوع إلى كتبهم، بأن يكون لكلّ واحدٍ منهم كتاب استدلالي في الفقه ويكون واصلاً إلينا يداً بيد، والمفروض عدم وجود كتاب منهم كذلك عندنا، أو أنه كان ولكنه لم يصل إلينا؛ فإذاً لا أصل لهذه النظرية.

وأمّا الثانية، فلأنّ الشهرة الفتوائية ليست حجّةً بنفسها، وعليه فأقصى ما تفيده التأثير بالكشف. ظنّاً. عن صدور الرواية إذا كانت مستندةً إليها، وعن عدم صدورها إذا كانت مخالفةً لها، لكنه من الواضح عدم إناطة حجيّة الأخبار بالظنّ بالصدور، بل هي منوطة بالوثوق النوعي، ولا ينافيه الظنّ الشخصي بعدم الصدور، ولذلك تختلف هذه النظرية عن نظرية المشهور اختلافاً جوهرياً، وتترتب عليها آثار مهمة في عملية التطبيق والاستنباط في أبواب الفقه المختلفة.

نظرية انفصال الإطلاق عن الدلالة اللفظية

ذهب الإمام الخوئي إلى نظرية خاصّة في مسألة الإطلاق، فاعتقد أنّ الإطلاق غير داخل في مدلول اللفظ؛ بل الحاكم به إنما هو العقل ببركة مقدّمات الحكمة، فيكون في نهاية المطاف مدلولاً لتلك المقدّمات، فلا يكون لفظاً وكلاماً حتى يكون كتاباً أو سنّة، بل هو دلالة ناشئة عن السكوت في مقام البيان.

وتترتّب على هذه النظرية نتائج:

النتيجة الأولى: إن الرواية المخالفة لإطلاق الكتاب لا تكون مشمولةً لما دلّ من النصوص على أنّ المخالف للكتاب زخرف أو باطل، حيث لا ينطبق عليها عنوان المخالف له، على أساس أن الإطلاق ليس مدلولاً للفظ لكي يكون المخالف له مخالفاً للكتاب، بل هو مخالفٌ لحكم العقل.

النتيجة الثانية: إن الروايتين المتعارضتين إذا كانت إحداهما موافقةً لإطلاق الكتاب والأخرى مخالفة له، لا تكونان مشمولتين لما دلّ على ترجيح الموافق للكتاب على المخالف له، على أساس أن إطلاق الكتاب ليس من الكتاب، فلا يكون الموافق له موافقاً للكتاب لكي يكون مشمولاً له.

النتيجة الثالثة: إن التعارض بين الروايتين إذا كان بالإطلاق فلا مجال للرجوع إلى مرجّحات باب المعارضة، بل لا موضوع لذلك؛ فإنّ ما دلّ من النصوص على الترجيح بها إنما هو في مورد تكون المعارضة فيه بين مدلوليهما لفظاً، وأمّا إذا لم تكن معارضةٌ بينهما، بل كانت بين إطلاقيهما، فلا تصدق المعارضة بين الروايتين، لكي تكون مشمولةً لتلك النصوص، ولهذا يسقط كلا الإطلاقين معاً من جهة المعارضة في المسألة، فالمرجع هو العامّ الفوقاني إن كان، وإلاّ فالأصل العملي.

مسألة الاستصحاب

بنى الأصوليون على أن الاستصحاب إذا كانت حجيّته على أساس الروايات، فيكون أصلاً عمليّاً، أمّا السيد الأستاذ الخوئي فأكّد . في وجهة نظر خاصّة . على أنّ الاستصحاب أمارة على الرغم من أن حجيته كانت على أساس الروايات، وليس أصلاً عمليّاً، غاية الأمر أن أماريّته تقع في طول سائر الأمارات لا في عرضها، ومن هنا تتقدم عليه الأمارات كافّة.

وقد ذهب الإمام الخوئي إلى هذا الرأي على أساس أنّ مفاد أدلّة حجية الاستصحاب هو التعبّد ببقاء اليقين السابق في ظرف الشك، لا التعبّد بالعمل بالشك في ظرفه، وفرق بين التعبيرين؛ حيث الأوّل تعبير عرفي عن موقع الاستصحاب كأمارة، فيما الثاني تعبير عرفي عن موقعه كأصل عملي، وأمّا كونه من أضعف الأمارات فهو بملاك أنّ التعبّد ببقاء اليقين السابق في ظرف الشك تعبّد عملي لا حكائي.

نظرية مثبتات الأمارات والأصول

المعروف بين الأصوليين أن مثبتات الأمارات حجّة دون مثبتات الأصول، بلا فرق في ذلك بين أنواع الأمارات.

أمّا الإمام الخوئي، فقدّم تحليلاً رأى فيه أنّ الموضوع لا يقع اعتباطاً بل يقوم على أساس، وهو أنّ الأمارات حيث تنظر إلى الواقع وتحكي عنه، نرى أنّها كما تحكي عن مدلولاتها المطابقية تحكي أيضاً عن مدلولاتها الالتزامية بالواسطة على أساس الملازمة بينهما ثبوتاً واثباتاً، على خلاف الحال في الأصول العملية، حيث لا تنظر إلى الواقع، ولهذا لا تثبت إلاّ مدلولاتها المطابقية في مقام الظاهر دون لوازمها.

وعلى أساس ذلك يظهر أنّ حجية مثبتات الأمارات ليست من لوازم أماريّتها، بل من لوازم حكايتها عن الواقع، وعليه فلابدّ من التفريق بين أنواع الأمارات أيضاً، فما يكون لسانه لسان الحكاية عن الواقع والنظر إليه، تكون مثبتاته حجّةً، أمّا ما لا يكون كذلك فلا تغدو مداليله الالتزامية حجة، كالاستصحاب، وقاعدتي الفراغ والتجاوز، وأصالة الصحّة ونحو ذلك، فتكون حال هذه الامارات حال الأصول العمليّة، بلا فرق بينهما من هذه الناحية، وعليه لا تتميّز الأمارات عن الأصول بذلك.

نظريّة المعيار في تمييز المسألة الأصولية

رأى الإمام الخوئي أنّ انتماء مسألةٍ ما إلى أصول الفقه رهينٌ بوجود الخلاف وإبداء النظر والرأي فيها؛ فإذا كانت المسألة مسلّمةً واضحة لدى الكلّ درجةً لم يعد فيه مجال لإبداء نظر أو رأي فيها، لم تكن أصولية؛ لأنّ علم الأصول وضع لتحديد النظريات العامة، من هنا كان الأصول نظرياً والفقه تطبيقياً، فتكون نسبته إليه كنسبة المنطق العام إلى سائر العلوم.

وعلى أساس ذلك، ذكر الأستاذ الخوئي أن مبحث حجية الظواهر ليس من المسائل الأصولية، وكذلك أصالة الطهارة في الشبهات الحكمية؛ ذلك أنّ المسألتين من المسائل المسلّمة الواضحة عند الجميع، بدرجةٍ لا مجال معها لإبداء النظر وإعمال الرأي، ولهذا لم ينطبق عليهما ضابط المسألة الأصوليّة ومعيارها.

نظريّة السلب الجزئي في مفهوم الوصف

بنى الإمام الخوئي على دلالة القيد في القضية على المفهوم، لكن لا بمعنى دلالته على انتفاء سنخ الحكم بانتفائه، بل بمعنى أنه يدلّ على أنّ موضوع الحكم في القضية ليس هو الطبيعي على نحو الإطلاق، بل حصّة خاصّة منه، على أساس أنّه لو لم يدلّ على ذلك لكان لغواً محضاً، فيكون وسطاً بين القول بمفهوم القيد والقول بعدمه، وتترتب على ذلك آثار في المسائل الفقهية.

بداية الشهر القمري

قد بنى قدس سره على نظرية تؤكد على أن للشهر القمري بداية واحدة بالنسبة إلى الجميع، ولا يمكن أن يكون حلوله أمراً نسبياً بأن يكون لكل بلد أو منطقة شهرها القمري الخاص، إذ من الخطأ جداً قياس ذلك على نسبية طلوع الشمس، فإن الأرض بحكم كرويتها وحركتها حول نفسها، لا محالة تكون أجزاؤها مواجهة للشمس بالتدريج والنسبة، فتطلع على هذا الجزء من الأرض قبل ذاك الجزء فيكون الطلوع نسبياً،

وأما الشهر القمري فهو يبدأ بخروج القمر من المحاق أي من بين الشمس والأرض، وهذه الظاهرة ظاهرة كونية محددة تعبر عن موقع جرم القمر من جرمي الشمس والأرض ولا تتأثر هذه الظاهرة بهذا الجزء من الأرض أو ذاك، فلا مجال لافتراض النسبية هنا، و لا معنى للقول بأن الشهر القمري يبدأ بالنسبة إلى هذا الجزء من الأرض في ليلة الخميس- مثلًا- وبالنسبة إلى ذلك الجزء في ليلة الجمعة، فالنتيجة أنه لا يمكن أن يكون حلول الشهر القمري أمراً نسبياً يختلف فيه أفق عن أفق ليكون كطلوع الشمس بل هو ظاهرة كونية محددة، فإن المحاق عبارة عن انطباق القمر بين جرمي الشمس والأرض المحقق لغيبوبته عن كل أهل الأرض،

ولكن لايخفى أن إثبات هذه النظرية بالطريقة المذكورة من أبداع السيد الأستاذ قدّس سرّه وأما أصل النظرية فلا، فإن جماعة من الفقهاء قد سبقوه في هذه النظرية، غاية الأمر أن التزام بعضهم بها مبني على الروايات وبعضهم الأخر مبني على كون الأرض مسطحة لا كروية.

المصدر: موقع نصوص معاصرة، وكتاب:
المختصر في الحياة العلمية لزعيم الطائفة السيد الخوئي
المؤلف: الشيخ محمد إسحاق الفياض الجزء: ١

صدر حديثا النسخة الإلكترونية لكتاب "الاجتهاد المعاصر، مبادئه، ضوابطه، إجراءاته وتعقيداته" لعلامة المحقق محمد مصطفوي، يتألف الكتاب من مجلدين مستقلين، عدد صفحاتهما ٨٤٥ صفحة، من دار إي كتب.

الحديث عن الاجتهاد حديث عن المعرفة، والفكر، والفقه، وعن بذل الجهد والعمر في خدمة الحقيقة والعقيدة والشريعة؛ تاريخ حافل بإنجازات وإخفاقات، آمال وأهداف، ورؤى وتصورات وتصديقات.

إذ كان لكل عصر اجتهاده المقرون بالنجاح تارة، وبالإخفاق أخرى، اجتهادات ساهمت في البناء والتطور والرقي، في مقابل اجتهادات أخفقت في تحقيق الأهداف وبلوغ المرامي والمقاصد، مثلها مثل باقي حقول المعرفة الإنسانية المليئة بالنجاحات تارة وبالإخفاقات أخرى.

لكن ومثل العديد من الساحات العلمية والعملية التي نعيشها اليوم، فإن إنجازات ونجاحات الماضي، في دائرة الاجتهاد - مثلها مثل باقي الدوائر العلمية والمعرفية، في الواقع العربي والإسلامي - أكثر كما ونوعا وتأثيرا مما يدور ويعمل عليه في الحاضر.

فإننا نعيش في عصر النسخ والاستنساخ، والإعادة والاستعادة، والاستصحاب والتقليد والتكرار، لمواقف ومناهج ومسائل انتجت في الماضي، وارتبطت بظروفه ومتطلباته ومقتضياته الواقعية والظرفية.

بل نحن، في موارد كثيرة، نتبع العلماء الماضين حرفا بحرف: تصورا، وتصديقا، وفهما وفقها وقرائة للنصوص، ونقتفي أثرهم في طرق الفهم ومسالك البحث ومناهج الاستنباط وموارد الاستشهاد والاقتباس وفي التصحيح والتخطئة.

وأكثر من ذلك، قد نتمسك بطريقة تعاطيهم مع الواقع، وفي تكوين المواقف من القضايا التي نواجهها في حياتنا اليومية، وذلك مع ما بيننا وبينهم من الاختلاف في الموارد، والمواقف، والأحوال، والشروط، والمقتضيات، والمتطلبات. وذلك كله مع علمنا المسبق، بأن اجتهادات كبار الفقهاء ومواقفهم الفقهية، كانت تحصل في لحظة تاريخية عابرة، وفي أجواء فكرية وثقافية وسياسية ضاغطة، وفي بيئات اجتماعية معينة.

مما يقتضي أن لا تشكل قرائتهم للنص، وفهمهم لأحكام الشرع، ومواقفهم المتأثرة من العوامل المحيطة بهم قول فصل، وموقف ملزم لزماننا المختلف عنهم في أبعاد كثيرة.

كما لا ينبغي أن تؤسس تلك المواقف منطلقات نظرية، لفهم اللحظة التاريخية التي نحن فيها، والتي تختلف كليا عن السابق في جوانبها المختلفة.

وإن وصلت تلك المواقف إلينا بصيغ الإجماعات المنقولة عنهم، لأن الإجماع - إن لم يكن كاشفا عن دليل واضح الاعتبار والمنحى - يصبح أمرا زمانيا، تتحكم فيه الاعتبارات الزمانية وتؤثر في تحققه، إن تحقق بالفعل - وذلك نظرا إلى أن ما يتم من دعاوي الإجماع في دائرة الفقهيات في غالبها غير ذات مصداقية، واقعية، وإنما مبنية على دعاوي فارغة وغير دقيقة - نحن اليوم نعيش بالفعل النمطية المعرفية - التي راجت بين الفقهاء والتي تلقي بظلالها الداكنة على فهم أسس واعتبارات الاجتهاد، بل تعكر صفو فهم الدين والشريعة والحقيقة والحياة أيضا.

وفي الحقيقة لم تسلم من تأثيرات تلك النمطية أي مجال معرفي نخوض فيه نتيجة سلطة الماضي وحضوره الفاعل والحاسم في تحديد الخيارات وترتيب الأوليات والأولويات وتكوين المواقف والاتجاهات.

كما أن العقلية التي درج عليها السابقون تحكم فينا وتتحكم بمواقفنا، وذلك من خلال المعايير والمقاييس المعينة التي أفرزتها العقلية التاريخية والتي واكبت عملية تقييم درجات اعتبار الأسس والموازين الحاكمة والموجهة، وكيفية تطبيقها في الواقع والميدان.

كل تلك الاعتبارات أثرت بأشكال مختلفة على مستويات تعاطينا المعرفي والاستنباطي مع قضايا الواقع، خاصة لما صاحبها من قواعد شكلية وأعراف عملية، التي قيدت التعاطي المعرفي والفكري الخلاق والمنتج في أوساطنا، ولم يبق لنا فسحة للتحرك النظري، ولا للإبداع الفكري ولا للعطاء العملي والميداني.

إن هذه الدراسة - القراءة للفقه والاجتهاد - معنية بتناول العمل الاجتهادي من جوانبه المختلفة، أخذا بعين الاعتبار الواقع وحركة الزمان، وتأثيرهما على كل ما يجري في دائرتهما.

وملتفتا إلى أبعاد المعرفة الزمانية، ومقرا بأوجه النقص والضعف والوهن في النشاط الإنساني، النظري والعملي، في كل مرحلة تاريخية ومنتبها أيضا الخطورة العقل التنزيهي والفكر المتحيز، والغلو والتعالي في مجال أي نشاط معرفي منضبط ومتقن.

من هنا، يتطلب ذلك منا أن نتخذ كل الاحتياطات اللازمة والتدابير الممكنة للحيلولة دون الوقوع في تلك المتاهات، بغية تفادي الأخطاء (الموروثة) في التقدير والتصوير والتدبير، بقدر الإمكان والسعي لبلورة العمل الاجتهادي ضمن دوائره الممكنة والمعقولة، بعيدا عن المبالغات المعرفية، ومستبعدا عن الميدان الآفاق غير قابلة للرصد والملاحظة، والتقريب والتفعيل والتدبير.

ولكن وفي مطلق الأحوال، فإن الاجتهاد ضمن شروطه الواقعية والموضوعية - بدوره - لن يقدم حلولا سحرية لمشكلات تاريخية مزمنة، إنه يساهم في تقديم معرفة منظمة وواقعية حقلية، من دون القدرة على التصدي للمشكلات الأكثر عمقا وتعقيدا، في واقعنا الاجتماعي والمعرفي والإنساني.

إن التخصص المجالي ينبغي أن يحكم واقع المعرفة - كما هو الحال - ولا يمكن لحقل معرفي واحد بلغ ما بلغ من الدقة والموضوعية والواقعية وغيرها من الشروط والإشراطات أن يكون مرجعا لتحديد الموقف في كل المجالات وإن كان ذلك من وجهة نظر شرعية بحتة بل ينبغي أن يتم ذلك بالاستعانة المناسبة والمتوازنة من حقول معرفية رديفة أخرى.

إن التعاون البناء بين حقول مختلفة من المعارف الإنسانية التي تخلق فرصا جديدة، وتبعث على تنمية العقل الفاعل، وبناء مستقبل مشرق أمر ضروري دائما. ولكن مع ذلك، لا ينبغي إهمال هذا الحقل المهم، ولا الاستغناء عنه، لأنه النافذة الوحيدة - في دائرة الفكر والعقل الإسلاميين - التي ننتظر منها فتح آفاق جديدة نحو مستقبل أكثر إشراقا وتتطورا.

▫ صدر حديثا

الاجتهاد المعاصر

مبادئه، ضوابطه، إجراءاته وتعقيداته في جزئين

▪ فصول الكتاب وموضوعاته

يشتمل هذا القسم من المشروع الاجتهادي - المؤلف من جزئين منفصلين - إضافة إلى المقدمة التي نحن فيها على خمسة عشر فصل وخاتمة.

وسوف نتناول في الجزء الأول منه فصولا سبعة ونترك باقي الفصول مع الخاتمة وضبط المصادر والمراجع للجزء الثاني من الكتاب.

يتضمن الفصل الأول تمهيدا عاما لعملية الاجتهاد عرضنا فيه لتعريف الاجتهاد، وخطواته العامة، وأنواع الاجتهاد والمجتهدين ومراتبهم، والأمور التي ينبغي أن يتم ملاحظتها في الاجتهاد المعاصر، تفريقا بينه وبين الاجتهاد التقليدي المعمول به.

وأما الفصول الأربعة عشر المتبقية فقد تم توزيعها في جزئين،

يتضمن الجزء الأول وهو الماثل أمامكم فصولا سبعة،

وأما الجزء الثاني فيحتوي على الفصول المتبقية من المشروع وهو كالتالي:

الفصل الثاني: يتولى تأسيس وتبيين الاجتهاد نظريا ومفهوميا، وذلك من خلال التركيز على بيان الأبعاد المنهجية والمعرفية الموجودة في الاجتهاد والتي تميزه عن سائر المجالات المعرفية.

كما نبين في هذا الفصل الأسس المنطقية للحجج الشرعية التي يستند إليها علم أصول الفقه في تبرير الاجتهاد وتوجيهه من خلال التمييز بين اليقين المعرفي واللامعرفي في مجال عملية الاستنباط. كما نتناول فيه أيضا الموضوعات غير الضرورية والدخيلة في مجال علم أصول الفقه والتي ليس لها فائدة تذكر في مجال عملية الاستنباط الفقهي.

ونختم الفصل الثاني بشرح حاجات علم الأصول المعاصرة، وشرح الدوائر والساحات التي ينبغي لعلم أصول الفقه التوسع فيها كي يقوم بمهمة الاستنباط الفقهي بشكل أكثر فاعلية وإثراء.

الفصل الثالث: يعنى بتحديد ماهية الاجتهاد وتاريخية الموضوعات الفقهية، إذ نتطرق فيه لشرح طبيعة العمل الاجتهادي وكونه عملا إنسانيا - يحصل فيه الخطأ وسوء التقدير - إلا أنه يملك غطاءا شرعيا مشروطا كما نبين أهمية الدراسة التاريخية لموضوعات الفقه، ونعرض المجالات التي ينبغي أن تتم فيها الدراسة التاريخية بدل التركيز على النصوص والبحث عنها بحثا تجريديا. ونبين فيه أيضا خصائص كل من التشريع والتعليم والسنة النبوية فيما وصلنا إلينا من المرويات.

الفصل الرابع يقوم بالفصل بين العبادات والشؤون الخاصة والشأن العام بالمعنى العام، لأن التبويب السليم - من وجهة نظرنا - هو المفتاح للعمل المعرفي الناجح والمتماسك، ومن هذا المنطلق عملنا على تبويب شامل لأبواب الفقه وقضاياه وتقسيمه إلى مجالات ثلاثة رئيسة، وذلك من خلال شرح المعايير التي تقف خلف التصنيف الثلاثي، وتبيين أهمية التبويب والتصنيف الفني للعمل المعرفي والاستنباطي في مجال الفقه.

الفصل الخامس: يعني ببيان الأحكام وتصنيفاتها في الشريعة والفقه، وذلك بتحديد مفهومي لحكم الله، وطرق الوصول إليه في عملية الاستنباط الفقهي.

ونتعرض فيه - ضمن شرح أنواع الحكم الشرعي لنقتطين أساسيتين: الأولى، أن أغلب ما يتم الحديث عنه في الشريعة والفقه بأنها أحكام هي في الحقيقة أمور تعليمية، وليست أحكاما بالمعنى الدقيق للكلمة الثانية: أن الحكم الملزم في الشرع الإسلامي هو خصوص الحكم التشريعي التبليغي - ضمن شروط محددة - بين أنواع مختلفة من الأحكام التي وصلت إلينا. غير أن التحدي الأساس للفقه الإسلامي هو تحديد الحكم التشريعي التبليغي عن غيره من الأحكام في دائرة الحديث والمرويات.

الفصل السادس يقوم بالبحث في مصادر التشريع وفهم مقتضياته وذلك عبر تبيين الأنواع المختلفة من القضايا والمفاهيم والتعليمات والأحكام التي وردت في الكتاب والسنة. كما نتوقف عند شرح وتبيين المصادر الثانوية في التشريع الإسلامي والتركيز على مقتضيات تلك المصادر ومدى قدرتها على إثبات حكم أو تحديد موقف شرعي تجاه قضية من قضايا الحياة الإنسانية.

الفصل السابع: يتولى بيان وتحديد أطر فهم الخطابات الشرعية ضمن معطيات نصية وغير نصية والتمييز بين النص والخطاب، كما يعنى الفصل بشرح وتبيين إجرائيات تحديد الخطابات الشرعية عند ممارسة عملية الاستنباط.

وأما الجزء الثاني فيتضمن فصولا ثمانية وخاتمة، كما يلي:

فالفصل الأول من الجزء الثاني الفصل الثامن بالتراتبية بين الجزئين يشرح الخطط العملية للاستنباط، ويبين طرق إنضاج الخطابات الشرعية وتحويلها إلى حواصل فعلية لعملية الاستنباط.

وأما الفصل الثاني (الفصل التاسع يعنى بتحديد الموقف من تراتبية أدلة الأحكام ومدى تأثيرها على مجمل العمل الاستنباطي في دائرة الفقه، كما يشرح اختلاف الحديث وأسبابه.

وأما الفصل الثالث (العاشر) فيعني بالسياق ودوره الفاعل في فهم النصوص والخطابات الشرعية في كل من الكتاب والسنة.

في حين أن الفصل الرابع (الحادي عشر) يتناول شرح الزمان والمكان ودورهما في عملية الاحتماد

أما الفصل الخامس (الثاني عشر) فيتصدى لتبيين دور العقل في مجال عملية الاستنباط، ضمن نقد التوجه الاستنباطي الذي يسعى (ولو نظريا) لإبعاد العقل من مجالات الاستنباط الفقهي. بينما الفصل السادس (الثالث عشر) يتولى البحث في العلاقات السائدة بين الأخلاق والفقه والعمل الاجتهادي من خلال توضيح وجوه الاتفاق والاختلاف بين الأمر الفقهي والأمر الأخلاقي.

وأما الفصل السابع (الرابع عشر) فيقوم بتبيين نظرية التكليف وبنيتها المنطقية وأسسها الفقهية بالدراسة والنظر في حين يقوم الفصل الأخير أي الفصل الثامن (الخامس عشر) ببيان موقع حقوق الإنسان في الاجتهاد المعاصر.

وأما الخاتمة، تتضمن على خلاصات سريعة لما تضمنه الكتاب من آراء وتصورات وأفكار واستنتاجات.

و إنني إذ أنهي المقدمة فإن أملي كبير بالقدرات المعرفية، والطموح والأمال الإنسانية للأجيال الحاضرة واللاحقة نحو غد أفضل لهم وللأجيال التي تأتي من بعدهم، حيث إن من حقهم المشروع أن يبحثوا

عن حلول أكثر نضجا ونجاعة، وأن يسعوا من أجل عالم أفضل لهم ولغيرهم، من دون أن يكون ذلك على تناقض أو تصادم مع معتقداتهم أو فهمهم لطبيعة الدين والشريعة والفقه. كما أنني واثق من أن هناك وفي كل عصر يأتي أناس سوف يواصلون وبكل حرص سبل الإصلاح والتغيير بل الإبداع والتكميل، ولا يسعني إلا أن أدعو لهم بالتوفيق والتسديد، إنه خير مجيب، وما توفيقي إلا بالله، وهو خير ناصر ومعين.

المصدر: الاجتهاد

▫ مقال

قـدمـاء الشيعـة وعلـم التفسيـر

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

إنّ القرآن هو المصدر الرئيسي للمسلمين في مجالي العقيدة والشريعة، وهو المعجزة الخالدة للنبيّ الأكرم ﷺ، وقد قام المسلمون بأروع الخدمات لهذا الكتاب الإلهي على وجه لا تجد له مثيلاً بين أصحاب الشرائع السابقة، حتّى أسّسوا لفهم كتابهم علوماً قد بقي في ظلّها القرآن مفهوماً للأجيال، كما قاموا بتفسيره وتبيين مقاصده بصور شتى، لا يسع المقام ذكرها. فأدّوا واجبهم تجاه كتاب الله العزيز-شكر الله مساعيهم - من غير فرق بين الشيعة والسنّة.

إنّ مدرسة الشيعة منذ أن ارتحل النبيّ الأكرم ﷺ إلى يومنا هذا، أنتجت تفاسير على أصعدة مختلفة، وخدمت الذكر الحكيم بصور شتّى، نأتي بوجه موجز، لما ألّف في القرون الإسلامية الأُولى.

إنّ أئمّة أهل البيت - بعد الرسول الأكرم ﷺ - هم المفسّرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسّروا القرآن بالعلوم التي نحلهم الرسول ﷺ بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم التي لا تشذّ عن قول الرسول ﷺ وفعله وحجته، ومن الظلم الفادح أن نذكر الصحابة والتابعين في عداد المفسّرين ولا نعترف بحقوق أئمّة أهل البيت وهم عديله باتفاق الجميع.

وهذا ما فعله في كتابه محمّد حسين الذهبي، جعل عليّاً. وهو الوصي وباب علم النبيّ ﷺ - في الطبقة الثالثة من حيث نقل الرواية عنه، وجعل تلميذه ابن عباس في الدرجة الأولى!!، ولم يذكر عن بقية الأئمّة شيئاً مع كثرة ما نقل عنهم في مجال التفسير من الروايات الوافرة.

أقول: ما إن ارتحل النبيّ الأكرم ﷺ حتّى عكف المسلمون على دراسة القرآن وتدبره، بيد أنّهم وجدوا أنّ لفيفاً من المسلمين كانوا عاجزين عن فهم بعض ألفاظ القرآن. والقرآن وإن نزل بلغة الحجاز إلاّ أنّه يحوي ألفاظاً غير رائجة فيها، وربّما كانت رائجة بين القبائل الأُخرى، وهذا النوع من الألفاظ ما سمّوه بـ «غريب القرآن» وقد سأل ابن الأزرق - رأس الخوارج - ابن عبّاس عن شيء كثير من غريب القرآن وأجاب عنه مستشهداً بشعر العرب الأقحاح، وقد جمعها السيوطي في إتقانه.

وبما أنّ تفسير غريب القرآن كان الخطوة الأُولى لتفسيره، فقد ألّف أصحابنا في إبّان التدوين كتباً في ذلك المضمار، نذكر قليلاً من كثير:

١. غريب القرآن، لأبان بن تغلب بن رباح البكري (ت ١٤١هـ).

٢ . غريب القرآن، لمحمّد بن السائب الكلبي، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٣. غريب القرآن، لأبي روق، عطية بن الحارث الهمداني الكوفي التابعي، قال ابن عقدة: كان ممّن يقول بولاية أهل البيت.

٤. غريب القرآن، لعبد الرحمن بن محمّد الأزدي الكوفي، جمع فيه ما ورد في الكتب الثلاثة المتقدّمة.

٥. غريب القرآن، للشيخ أبي جعفر أحمد بن محمّد الطبري الآملي الوزير الشيعي (ت ٣١٣هـ).

وقد توالى التأليف حول غريب القرآن في القرون الماضية، فبلغ العشرات، وكان أخيرها - لا آخرها - ما ألّفه السيّد محمّد مهدي الخرسان في جزأين.

▪ مجازات القرآن

إذا كان الهدف من هذه الكتب بيان معاني مفردات القرآن وألفاظه، فإنّ في الجانب الآخر منه لون آخر من التفسير يهدف لبيان مقاصده ومعانيه إذا كانت الآية مشتملة على المجاز والكناية والاستعارة. إليك أخي القارئ الكريم نماذج قليلة ممّا أُلف في ذلك المجال بيد أعلام الشيعة:

١. مجاز القرآن، لشيخ النحاة الفرّاء يحيىبنزياد الكوفي (المتوفّى عام ٢٠٧هـ)، وقد طبع أخيراً في جزأين.

٢. مجاز القرآن، لمحمّد بن جعفر بن محمّد، أبو الفتح الهمداني. قال النجاشي: له كتاب «ذكر المجاز من القرآن».

٣ . مجازات القرآن، للشريف الرضي المسمّى بتلخيص البيان في مجازات القرآن، وهو أحسن ما أُلف في هذا الباب وهو مطبوع.

▪ التفسير بصور متنوّعة

وهناك لون آخر من التفسير، يعمد فيه المفسّر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صلة خاصّة كالمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وآيات الأحكام، وقصص الأنبياء، وأمثال القرآن، وأقسامه، والآيات الواردة في مغازي النبيّ ﷺ، والنازلة في حقّ العترة الطاهرة: إلى غير ذلك من الموضوعات التي لا تعمّ جميع آيات القرآن، بل تختصّ بموضوع واحد.

وكان علماء الشيعة قد شاركوا غيرهم من علماء المسلمين في هذا الجانب الحيوي والمهم، ورفدوا المكتبة الإسلامية بهذه الأنواع من التفاسير، ومن أراد أن يقف عليها فعليه أن يرجع إلى المعاجم، وأخص بالذكر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

▪ الشيعة والتفسير الموضوعي

إنّ نزول القرآن نجوماً، وتوزّع الآيات الراجعة إلى موضوع واحد في سور متعدّدة، يطلب لنفسه نمطاً آخر، غير النمط المعروف بالتفسير الترتيبي؛ فإنّ النمط الثاني يتّجه إلى تفسير القرآن سورة بعد سورة، وآية بعد آية، وأمّا النمط الأوّل فيحاول فيه المفسّر إيراد الآيات الواردة في موضوع خاصّ، في مجال البحث، وتفسير الجميع جملة واحدة وفي محلّ واحد.

فيستمدّ المفسّر من المعاجم المؤلّفة حول القرآن، ومن غيرها، في الوقوف على الآيات الواردة في جانب معيّن، مثلاً في خلق السماء والأرض، أو الإنسان، أو أفعاله وحياته الأخروية، فيفسّر المجموع مرّة واحدة، ويرفع إبهام آية بآية أُخرى، ويخرج بنتيجة واحدة، وهذا النوع من التفسير وإن لم يهتم به القدماء واكتفوا منه بتفسير بعض الموضوعات كآيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، إلاّ أنّ المتأخّرين منهم بذلوا جهدهم في طريقه، ولعلّ العلاّمة المجلسي (١٠٣٧-١١١٠هـ) كان أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه في موسوعته الموسومة بـ«بحار الأنوار»، حيث أورد في أوّل كل باب من أبواب كتابه المتخصّصة جملة الآيات الواردة حول موضوع الباب، ثمّ لجأ إلى تفسيرها إجمالاً، ثمّ أورد ما جمعه من الأحاديث التي لها صلة بالباب.

وقد قام كاتب هذه السطور بتفسير الآيات النازلة حول العقائد والمعارف وخرج منه حتّى الآن سبعة أجزاء وانتشر باسم «مفاهيم القرآن» نسأل الله تعالى التوفيق لإتمامه.

▪ الشيعة والتفسير الترتيبي

قد تعرّفت على أنّ المنهج الراسخ بين القدماء وأكثر المتأخّرين هو التفسير الترتيبي، وقد قام فضلاء الشيعة من صحابة الإمام علي والتابعين له إلى العصر الحاضر بهذا النمط من التفسير، إمّا بتفسير جميع سوره، أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة في القرون الثلاثة الأُولى، هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمي والتحليلي من أواخر القرن الرابع. فأوّل من ألّف من الشيعة على هذا المنهاج هو الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦هـ) مؤلّف كتاب «حقائق التأويل» في عشرين جزءاً، ثمّ جاء بعده أخوه الشريف المرتضي فسلك مسلكه في أماليه المعروفة بـ «الدرر والغرر»، ثمّ توالى التأليف على هذا المنهاج من عصر الشيخ الأكبر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) مؤلّف «التبيان في تفسير القرآن» في عشرة أجزاء كبار، إلى عصرنا هذا.

فقد قامت الشيعة في كلّ قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوّعة، ولغات متعدّدة. لا يحصيها إلاّ المتوغّل في المعاجم وبطون المكتبات.

ولقد فهرسنا على وجه موجز أسماء مشاهير المفسّرين من الشيعة وأعلامهم في ١٤ قرناً، وفصّلنا كلّ قرن عن القرن الآخر، واكتفينا بالمعروفين منهم؛ لأنّ ذكر غيرهم عسير ومحوج إلى تأليف حافل. فبلغ عددهم (١٢٢) مفسّراً. ومن أراد الإلمام بذلك فعليه الرجوع إلى المقدّمة التي قدّمناها لتفسير التبيان للشيخ الطوسي، ولأجل ذلك نطوي الكلام في المقام.

المصدر: دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية، تأليف: الشيخ جعفر السبحاني ص ٢٣-٢٨

▫ حوار

السيد عبد المنعم السوداني لـ "الهدى":

العلماء والخطباء من داخل افريقيا واوربا هم القادرون على نشر ثقافة اهل البيت بنجاح

▫ أجرى الحوار: محمد علي جواد

حجة الاسلام والمسلمين، السيد عبد المنعم محمد الحسن، المعروف في الاوساط الحوزوية؛ بـ "السوداني"، عالم دين وخطيب من السودان، يقيم في لندن، أكمل مشواره العلمي في السودان، و درس الحقوق في جامعة القاهرة بالخرطوم، وتخرج منها بشهادة بكالوريوس.

يُعد من المتألقين في مسيرة الاستبصار الى مذهب أهل البيت، عليهم السلام، فقد انطلق من بلاده ليخوض غمار العلوم الدينية، في منطقة السيدة زينب، ثم ليكون مبلغاً رسالياً في افريقيا وفي اوربا، حاملاً مشعل الوعي والثقافة الاسلامية الأصيلة.

سمعنا بوجوده في كربلاء المقدسة في الآونة الاخيرة، فكان لابد من اغتنام الفرصة وإجراء هذا الحوار معه، وكانت الاستجابة الكريمة منه.

▪ عن تجربة الاستبصار، (التحول الى مذهب اهل البيت)، ما الذي يحتاجه الناس -برأيكم- لزيادة الوعي وصولاً الى الحقيقة؟

النفس البشرية تعقيداتها كبيرة، وكل شخصية تنشأ وتتبلور من خلال مؤثرات مختلفة، ومجموع هذه المؤثرات، كما انه يساهم في بناء الكينونة، فهو كذلك يخلق طرقاً للتعامل مع الحقائق، لذلك يصعب الحديث عن وضع خطة او جدول للتقيّد به، على أنه سيهدي الآخر للتسليم بالحقيقة، لكن رغم ذلك؛ ثمة الوعد الإلهي بأن يوصل من يريد الوصول إلى الحقيقة، لذلك أولى الخطوات التي نحتاجها لمساعدة الآخرين للوصول للحقيقة؛ زرع الثقة بإمكانية وصولهم للحقيقة، فيمكن للحقيقة ان تكون بخلاف ما يعتقدون.

* من خلال التعايش مع المجتمع تلمست حاجة الشباب الذين يعيشون حالة من التجاذب ما بين انتمائهم الثقافي والفكري للإسلام، وبين معايشتهم للمجتمع في المدارس والجامعات، وبيئة العمل.

هذا فيما يخص الفرد، أما المنهج فقد لخّصه الامام الرضا، عليه السلام، حينما سُئل عن كيفية إحياء أمرهم، قال: "تعلموا علومنا وعلموها للناس فان الناس لو علموا محاسن كلامنا اتبعونا".

والمحاسن هذه، تعني كل جميل يمكن ان يأخذ بعنق الانسان للتسليم للحقيقة؛ ابتداءً من المنهج الذي عنوان الحكمة والموعظة الحسنة، و انتهاءً بالمضمون الذي ترتاح إليه النفس ويولد السكينة بالانتماء.

▪ التشيع له مقبولية بقدر كبير في العالم، ما السُبل الكفيلة لترسيخ هذه الحالة ونشر ثقافة أهل البيت في العالم؟

مزيد من بلورة الأفكار المستقاة من علوم أهل البيت، عليهم السلام، بلغة تناسب عصرنا، وإنشاء مزيد من المعاهد والحوزات العلمية التي تعتمد في صبغتها العلمية على تراث اهل البيت، عليهم السلام، و مزيد من المؤسسات التي تعنى بتبني سياسية التبليغ والدعوة إلى الله تعالى.

التبليغ في اوربا وافريقيا

▪ لو تحدثوننا عن أبرز نشاطاتكم في بريطانيا؟

التحديات التي يواجهها اتباع مدرسة اهل البيت، كبيرة جداً، لكن أخطرها؛ الحفاظ على الهوية.

من الأيام الأولى لوصولي إلى بريطانيا أحسست بالحاجة الماسة لخطاب من نوع خاص يتجاوز النمط التقليدي، يساعد على المحافظة على الهوية و زيادة الارتباط به بلغة تناسب المجتمع.

بدأت بالخطابة والحمد لله و اعتقد إلى درجة ما أن الله وفقنا لأن نؤسس لنمط جديد في مخاطبة الناس، وتحديد أولويات، اعتقد كانت مؤثرة لدرجة كبيرة.

* تحتاج الحوزات إلى مواكبة التحديات، وأن تكون حاضرة في المجتمع بشكل قوي وفاعل، وذلك بخلق امتدادات داخل البنية المجتمعية، وإلحاق مراكز بحوث ودراسات تكون قادرة على تحسس حاجات المجتمع في كل الميادين

ومن خلال التعايش مع المجتمع تلمست حاجة الشباب الذين يعيشون حالة من التجاذب ما بين انتمائهم الثقافي والفكري للإسلام، وبين معايشتهم للمجتمع في المدارس والجامعات، وبيئة العمل، هذا التجاذب الذي يُشعرك بحالة الاهتزاز البيّن على شبابنا، فبدأت بدروس للشباب ركزت فيها على الجانب العقائدي والفكري الفخيم الذي تملكه مدرسة أهل البيت، عليهم السلام، ثم قمنا بتأسيس منظمة بإسم "منتظرون"، على ان تكون احد فروع اكاديمية تهتم بتخريج قادة رساليين.

كما ساهمنا في تأسيس بعض المؤسسات الشبابية ونسعى بالنهوض بهذا الفئة لأهميتها في مجابهة تحديات الجالية الشيعية في المستقبل القريب.

▪ كيف تتعاملون مع الطلبات الكثيرة لدراسة العلوم الدينية في النجف وكربلاء من قبل المؤمنين في اوربا وافريقيا، وهل في هذه البلاد حوزات علمية؟

هناك وعي يتعاظم بأهمية دور العالم والمبلغ، خصوصا في الغرب، وبلغة الغرب، مما يعني الحاجة الماسة لتربية مبلغين وعلماء رساليين، يتربون و ينشأوا في بلاد الغرب، اعتقد من المهم ان يستوعب القائمون على حواضرنا العلمية أهمية هذه المسألة ومن ثم التسهيل والترتيب وجعل هذا الامر من الأولويات.

بالنسبة لأفريقيا التشيع فيها ينتشر بسرعة، وكلما زادت سرعته احتجنا إلى قادة يقودون المسيرة هناك، وتربية رساليين من نفس افريقيا، يمثل عاملاً مساعداً على الثبات، وعلى تقليل المجهود على أصحاب مشاريع التبليغ.

▪ هناك مشاكل وأزمات يعيشها المؤمنون في افريقيا واوربا والعالم أجمع، كيف ترى الطريقة الفضلى لتعامل الحوزة العلمية مع هذه المشاكل وسبل الاسهام في حلها؟

أولاً: يجب ان نعزّز الثقة في الحوزات العلمية، وان دورها في المحافظة على الهوية الإسلامية لايمكن تغافله او تجاوزه او استسهاله.

ثانيا: تحتاج الحوزات إلى مواكبة التحديات، وأن تكون حاضرة في المجتمع بشكل قوي وفاعل، وذلك بخلق امتدادات داخل البنية المجتمعية، وإلحاق مراكز بحوث ودراسات تكون قادرة على تحسس حاجات المجتمع في كل الميادين.

ثالثاً: نحتاج إلى تطوير مناهجنا وزيادة حقول الدراسة لتشمل كل ما يمكن ان يساعد في صياغة شخصية رائدة وقائدة تكون محور تنامي المجتمع.

التحديات وآفاق المستقبل:

▪ ما الصعوبات او التحديات التي واجهتموها خلال مسيرتكم التبليغية سواء في افريقيا او اوروبا؟ وكيف تعاملتم معها؟

لكل مجتمع خصوصياته التي تفرز التحديات؛ بالنسبة لأفريقيا الواعدة لتكون موالية، ولديها الإمكانيات للمساهمة في قيادة البشرية، تحتاج إلى عمل مؤسسي متكامل وتوجيه الإمكانيات بشكل واعٍ لحجم العمل المتوقع هناك، فبالاضافة إلى صنع مبلّغين وقيادات من داخل افريقيا مما يعني ان تفتح الحوزات العلمية الباب لطلاب العلم من هناك، ووضع الخطة والمناهج التي تناسب دورهم عند العودة إلى مجتماعاتهم.

نحتاج لان تكون هناك مؤسسات قادرة على إدارة المسيرة التبليغية داخل افريقيا، و اقصد من ذلك ان لا تكتفي المؤسسات بإرسال الطلاب للحوزات العلمية، بل يكون ذلك ضمن سلسلة من الخطط تبدأ من احضار الطلاب إلى الحوزات استمراراً بتبنيهم خلال فترة الدراسة مع المتابعة، حتى اذا ما رجعوا إلى اوطانهم تفتح لهم فرص التفرغ للعمل التبليغي، وخلق مؤسسات تناسب مجتمعاتهم، وبعد فترة ستنهض تلك المجتمعات وتكتفي بنفسها لنفسها.

أما في أوروبا فان التحدي له جانبين:

المحافظة على هوية الجاليات.

تعريف أوروبا بالإسلام ولكل تحد آلياته.

▪ ما هي سبل النجاح لعالم الدين في البلاد غير الاسلامية؟

ان يجتهد ليكون نموذجاً للرسالة وهذا يعني:

أولا: الاعداد الجدّي لشخصيته من حيث التسلّح بالعلم والاجتهاد المستمر في رفع الوعي الثقافي والفكري.

ثانياً: معرفة الواقع الذي يعيش فيه ودراسته بشكل دقيق.

ثالثاً: الارتباط الدائم والمستمر بالمرجعية الدينية.

المصدر: موقع الهدى

▫ مقالة

موجات تغريب الأسرة بين الأمس واليوم

▫ فاطمة عبد الرءوف

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

إذا كان لا يمكننا الفصل في تحدي التغريب بين قضايا الأسرة وقضايا المجتمع ككل، فهناك علاقة جدلية بين ما تتعرض له الأسرة وما يتعرض له المجتمع،

حتى أننا نستطيع قراءة المشهد كاملاً إذا تم تسليط الضوء على المخططات التي تعرضت لها الأسرة، حتى يتم تفكيك بنيتها القديمة وتشكيل بنية جديدة متوافقة مع المعايير والقيم الغربية المستحدثة، وهي مخططات عميقة الجذور، متعددة المستويات والمراحل؛ لأنها تحاول تفكيك واحدة من أشد البنى المجتمعية رسوخًا في بلادنا؛ ولأن الانتصار في هذه المعركة يعني ببساطة أن ما بعدها بالغ السهولة.

في معركتنا مع التغريب لابد أن نعترف أن ثمة نقاط ضعف، بعضها بالغ الفداحة، موجودة في محيطنا الداخلي، وفي بنيتنا الأسرية العميقة، فكثير من القيم الأسرية الحاكمة هي نتيجة لمجموعة عادات وتقاليد ظالمة، بعضها يعود للعصر الجاهلي بشكل صريح، وبعضها الأخر مزج بين قيم العصر الجاهلي وبين بعض الأفكار المغلوطة، التي شاعت في عصور الانحطاط عن الدين، بدأت معركة التغريب في بلادنا باستثمار مدروس لنقاط الضعف هذه، وجعلها نقطة ارتكاز محورية للتفكيك؛ لتنطلق بعدها لآفاق أكثر اتساعًا وأشد تطرفًا.

▪ صدمة المواجهة

ويمكننا في هذا الصدد التمييز بين موجتين كبيرتين للتغريب تعرضت لهما الأسرة المسلمة.

يعد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هو التوقيت الصحيح الذي انطلقت منه الموجة الأولى من التغريب، حيث شكل المناخ الثقافي السائد بيئة خصبة ترعرعت فيها كل صور التقاليد الظالمة التي حكمت الأسرة، كما حكمت المجتمع كله حالة من التأخر الحضاري الشامل في ظل الاستعمار في كل نواحي الحياة، وكان المصلحون في هذه المرحلة يسعون للتعامل مع قضايا المرأة والأسرة بطريقة التوالي، أي أنه بعد التحرر من الاستعمار نبدأ في التعامل مع المظالم الداخلية الموجودة في المجتمع، وعلى رأسها ما تعيشه المرأة والأسرة مما لا علاقة له بالدين، وإن ألبسها البعض ثوب الدين؛ مستندًا لآثار غاية في الضعف، بينما تعامل الاستعمار وأعوانه بطريقة التوازي، فضرب جميع مناحي الحياة بالقوة الخشنة والقوة الناعمة.

ومن ذلك ما تعرضت له الأسرة المسلمة من صدمات البداية، ويمكننا النظر لكتاب المرأة الجديدة لقاسم أمين كنموذج واضح لا لبس فيه للموجة الأولى للتغريب، والتي بدأت في ظل رفض عارم لها، إلا أنها استطاعت في غضون عقود قليلة أن تحقق إنجازات حقيقية وملموسة في الواقع الفعلي، الذي تجاوب مع المضامين الجديدة التي -ويا للعجب- تم تسويقها باعتبارها السبيل الحقيقي للتخلص من الاستعمار، وهو ما عبر عنه الدكتور طه حسين بشكل صريح في قوله: "إن سبيل النهضة واضح بيّن مستقيم، ليس فيه عوج ولا التواء، وهو: أن نسير سيرة

الأوروبيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادًا ولنكون لهم شركاء في الحضارة.. خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحبُّ منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب".

▪ تغريب بالإكراه

الموجة الثانية الكبيرة من التغريب هي ما نعيشها هذه الأيام، فمنذ سبعينيات القرن الماضي ظهر تيار إصلاحي جديد، بدأ بالعمل على الإصلاح بمنطق التوازي، وقدم إسهامات تجديدية في شتى قضايا الأسرة والمرأة، وحقق إنجازات ملموسة مع الظهير الشعبي، وشاركت النساء في صوغ هذا المشروع، وظهرت نوعيات غير نمطية من النساء شاركن في صناعة هذا المشروع،

حتى أن الكثيرات من هؤلاء النساء نشأن في أسر عاشت التجربة التغريبية، سواء على مستوى الفكر أو السلوك، ورفضن التجربة التغريبية، وقررن بشكل واع أن يصبحن جزءًا من تيار الإصلاح النهضوي الجديد، القائم على الأسس الإسلامية. ما يميز هؤلاء النساء أيضًا أنهن تلقين تعليمًا عالي الجودة، واستطعن التمييز بوضوح بين التحديث.. حيث الاستفادة من العلوم الغربية بشتى مجالاتها المعرفية، حتى على مستوى الإنسانيات مع نمو عقلية نقدية واعدة، وبين التغريب من حيث هو تذويب للهوية، واستلاب عاطفي ونفسي وشعوري.

بدأت الموجة الثانية من التغريب إذن بشكل عكسي، حيث تيار تغريبي مسيطر على الجامعات ومناحي الحياة الثقافية، وتيار إصلاحي بدأ يشق طريقه مستفيدًا من تجارب الماضي، سواء منها ما يتعلق بالتوازي في النظر للقضايا أو بشنه هجومًا عنيفًا على الأفكار التقليدية العفنة البائدة، التي حاربها بنفس القوة التي واجه بها تيار التغريب، وأصبح هذا التيار الإصلاحي الجديد رقمًا صعبًا في أي معادلة، واضطر التيار التغريبي للاحتماء بحزمة التشريعات الدولية لتخريب الأسرة، بدءًا من اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو)، ثم ما حدث في مؤتمر القاهرة للسكان ومقررات بكين وما تلاها، والتي لم تعد مجرد مؤتمرات تقدم التوصيات، ولكن أصبح لها صفة إلزامية ومتابعة دورية لمتابعة تنفيذ المقررات وتضمينها في القوانين الوطنية، بحيث يتم تدويل القيم الأسرية في حد ذاته لصالح الرؤية الغربية للحياة الاجتماعية.

فبينما يولي ما يطلق عليها خدمات الصحة الإنجابية أولوية الرعاية لحمل المراهقات، يتم تجريم الزواج المبكر للفتاة، باعتباره انتهاكًا لطفولتها، وبينما يتم وصم المهر بثمن بيع الفتاة، يتم الحديث عن العمل المأجور كطريق وحيد لتمكين المرأة الاقتصادي، بل إن الأمر يتجاوز ذلك كله لفرض الرؤية الجندرية على مجتمعاتنا، والجندر في أبسط تعريف ممكن يعني أن الجنس البيولوجي (ذكر وأنثى) لا يرتبط بالجنس الثقافي (رجل وأمرأة)، أو كما قالت سيمون دي بوفوار لا تُولد المرأة امرأة.. وإنّما تُصبح كذلك!

ومن ثم انطلق التيار التغريبي بجموح لفرض مثل هذه الأفكار الشاذة وتأصيلها ووضعها في صلب مشروعه، وأصبح مصطلح العابرون جنسيًا مصطلح شائع يتم الترويج له، وتم استخدام وسائل الإعلام بمهارة في نسج وعرض قصص هؤلاء، والاضطهاد الذي يعانون منه في المجتمع، والبعض منهم فنانين وأبناء فنانين؛ مما أثار لغطًا في الشارع، خاصة مع انشغال وسائل الإعلام هذه بأخبار هؤلاء الفنانين!

والحديث عن أدق تفاصيلهم الحياتية، كما استخدمت منصات التواصل الاجتماعي في هذه الحرب على ثوابت القيم الأسرية، وما معركة البكيني التي أثيرت مؤخرًا واعتباره حرية شخصية من غير المقبول انتقادها إلا واحدة من معارك هذا التيار الذي يفرض مفهومه عن الحرية بمثل هذه الأدوات، وما رفع سقف الطموحات العلمانية بهذه الصورة المستنكرة إلا آلية للقبول بالدرجات الأقل، فإذا كان البكيني مستنكرًا على شواطئ الفقراء فسيكون كشف الشعر مثلاً أمر طبيعي.

على أن ما يميز هذه الموجة الثانية هو تلك الضربات الموجعة التي تلقاها التيار الإصلاحي، وإغلاق صحفه، ودور نشره، ومواقعه الإلكترونية في كثير من البلدان، فأخرج عمدًا من ساحة المواجهة، وبقى التيار التغريبي وحيدًا في الساحة، يعرض مشروعه من جهة، وينفر من أطروحة التيار الإسلامي الإصلاحي من جهة أخرى، دون أن يملك الأخير حتى حق الرد.

▪ أسلمة التغريب

يمكننا القول إذن أنه وبعد المد التغريبي الأول الذي وصل ذروته لستينيات القرن الماضي -مع بعض التباينات الأيدولوجية التي تلتقي في الأصل العلماني الكبير- بدأ التيار التغريبي يفقد الكثير من شرائحه المثقفة لصالح التيار الإصلاحي الأصيل، الذي تعلم الكثير من تجاربه السابقة، والذي تجاوز كثير من القيم والتقاليد والعادات التي لا ترتبط بأصل إسلامي صحيح، وأصبحت قضايا الأسرة تعالج بشكل كلي ومتكامل، في إطار فهم الواقع الاجتماعي وتحت منظومة القيم الإسلامية الفلسفية الحاكمة.

وهذا أزعج صناع القرار في العالم الذين سعوا للالتفاف على هذا المد، وما تقرير مؤسسة راند الأمريكية الذي حمل اسم "بناء شبكات إسلامية معتدلة" إلا نموذج لهذه المحاولة الالتفافية الناعمة لضرب هذه المشروع من الداخل، وبنفس أدواته عن طريق دعم ما يطلقون عليهم المعتدلين، وما هم إلا أصحاب المشروع التغريبي، الذي يسقطون رؤيتهم على النصوص الإسلامية، ويقوموا بتأويلها بطريقة تجافي منطق اللغة، متجاهلين آراء المفسرين والمحدثين جميعًا، فمثلاً "يرى المعتدلون أن المواقف ذات صبغة الاضطهاد في القرآن والسنة بالنسبة للمرأة في المجتمع والأسرة -على سبيل المثال أن البنت ترث نصف ما للولد- يجب أن يعاد تفسيرها في ضوء الواقع الحالي، وليس الواقع الذي ساد أيام حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أن التقرير أشار بشكل صريح إلى أهمية استغلال وسائل الإعلام والفنون المختلفة للترويج لهذا الفكر، وبالطبع إذا قامت بهذا الدور امرأة ومن أصول إسلامية فإن الأمر يكون أشد تأثيرًا، "

ففي الترويج -على سبيل المثال- الممثلة الكوميدية شعبانة رحمن -وهي باكستانية الأصل- تحب أن تظهر على المسرح مرتدية برقع، والذي تخلعه لتظهر فستان كوكتيل أحمر اللون قبل أن تبدأ في مونولوج ضد أحكام الشريعة"، وتؤكد على فوائد التكامل مع الحداثة الغربية.

المصدر: مجلة المجتمع، العدد ٢١٤٧، المحرم ١٤٣٢، ص ٣٨

مقالة/ الجزء الثالث

أصول الفقه

المؤلف: احمد پاکتچی

ز) تدوين الحنفية للأصول، خطوة نحو تقليص المسافات

ينبغي لنا أن لانعدّ المذهب الحنفي في القرون الإسلامية الأولى مذهباً فقهياً صرفاً، بل مذهباً يقدّم منظومة كلامية .فقهية؛ لكن من المعلوم أيضاً أن الأوساط الحنفية كانت قد خطت على مدى القرنين ٣و٤هـ، خطوات على طريق تقريب مواقفها العقائدية من مواقف مجاميع أصحاب الحديث، ثم الأشاعرة. و في القرن ٤هـ، ومع ظهور موجة تدوين آثار في أصول الفقه وبشكل عام وضع الأسس للمنظومات الأصولية، كانت الظروف مؤاتية لأن يطرح علماء الحنفية ـ بتقديمهم نظريات معتدلة في الأصول ـ مذهبهم كمذهب مقبول في رأي أتباع بقية مذاهب أهل السنة. وبرغم أن هذه النظريات كانت تطرح في كثير من الحالات بوصفها أساليب مقتبسة من فقه أبي حنيفة وينسب مضمونها إلى إمام المذهب، لكن لاشك في أنها حصيلة فكر ودراسة أصوليين كان فقه إمامهم ملهماً لهم فحسب.

و في نظرة إلى الموضوعات محل الخلاف في بحوث الأدلة الفقهية ينبغي التذكير بأن نطاق النقاشات الأصولية بين الحنفية وبين الشافعية الذين كانوا منافسيهم الرئيسين في مجال الأصول، كان أضيق بكثير فيما يخصّ دليلي الكتاب والسنة. و من بين الحالات التي يلاحظ فيها ثبات أصوليي الحنفية المتقدمين على مواقفهم المضادة للشافعية، المسألة العريقة تخصيص الكتاب بخبر الواحد الذي أصرّ فيه أبوبكر الرازي، الملقب بالجصاص على عدم إمكانية التخصيص، لكن أقوالاً أكثر اعتدالاً بهذا الشأن ظهرت تدريجياً على ألسن الأصوليين الحنفيين الآخرين. و في مسألة التعارض بين الخبر والقياس التي كان أصحاب الحديث يقرّعون فيها الحنفية لتركهم الأخبار، كان الأصوليون الحنفية بشكل عام قد اتخذوا موقفاً مستنداً إلى الأخبار. وخلال ذلك، فقد اعتمد أبو الحسن الكرخي (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) بشكل مطلق على تقدم الخبر مقارنة بالقياس، بينما رأى البعض الآخر أن ترجيح الخبر منوط بوجود صفات مثل الفقاهة في شخصية الرواة.

وبشأن أقوال الصحابة، ينبغي القول إن الكرخي في موقف أقرب إلى الشافعي وضمن نفيه وجوب تقليد الصحابة، رأى أن استخدام أقوالهم في الفقه يقتصر على الأمور التعبدية التي لامجال فيها للقياس والرأي. لكن البعض الآخر من أصوليي الحنفية مثل أبي سعيد البردعي أكدوا بشكل عام على وجوب اتّباع أقوال الصحابة.

و في الآثار الأصولية للقرنين ٤و٥هـ / ١٠و١١م، فإن من أهم البحوث الكثيرة التداول هو بحث الإجماع وبشكل خاص أقسام معينة منه مثل نظرية الإجماع السكوتي. وبهذا الشأن، فإن أغلب الأصوليين الحنفية إلى جانب الشافعية كانوا يقبلون بتوسيع مفهوم الإجماع وحجية الإجماع السكوتي، غير أن أعلاماً مثل أبي عبد الله البصري من الحنفية المعتزلة أنكروا من الأصل كونه إجماعاً، بينما قبل البعض مثل أبي الحسن الكرخي إلى جانب بعض الشافعية والمعتزلة ـ باتخاذهم موقفاً وسطاً ـ بالإجماع السكوتي بوصفه حجة شرعية من غير أن يعدّوه مصداقاً حقيقياً للإجماع.

وأخيراً، يجدر ذكر بحث الاستحسان الذي كان مثار خلافات قديمة بين الحنفية والشافعية، وبرغم وجود نزعة نحو التقريب، فإن مهمة الدفاع عنه بوصفه سمة مميزة للفقه الحنفي كانت تثقل كاهل جميع الأصوليين الحنفية. و في ظروف كهذه، كانت الوسيلة الوحيدة للدفاع عن شرعية الاستحسان بشكل لايكون مرفوضاً من قبل غير الحنفية، هي التدقيق في تعريف المصطلح؛ و على هذا الأساس، بادر بعض الأصوليين الحنفية ـ بتعريفهم الاستحسان بأي نوع من أنواع العدول عن القياس بلحاظ صارف شرعي، سواء أكان عدولاً إلى قياس أدق، أم عدولاً إلى دليل منصوص ـ إلى إغلاق طريق الإنكار على المخالفين وأخيراً أقنعوا باحثين من القرون الأخيرة بأن نزاع الماضين حول الاستحسان كان نزاعاً لفظياً. وينبغي أن نضيف أن أبا بكر الرازي في تبيانه اجتهاد الرأي الحنفي، رأى أنه لايعدو عن كونه أحد ثلاثة معان: الأول القياس الشرعي والآخر الاجتهاد في موضوعات مثل تعيين الوقت والقبلة والثالث «الاستدلال بالأصول».

و عن موضوع الاستصحاب الذي كان قد وجد له في أصول القرنين ٤و٥هـ، أرضية مؤاتية للانتشار، فيجدر القول إن هذا الأصل لم يكن يتمتع بشكل تقليدي بمكانة في أوساط الحنفية، و لم‌تكن مواجهة الأصوليين الحنفية إزاءه مواجهة خلّاقة، بل ردّ فعل يهدف إلى طرح المسألة و الحد من الاستخدام؛ و من ذلك، أن أبا منصور الماتريدي، أحد متكلمي الحنفية (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٥م) باتخاذه موقفاً خاصاً بين الأصوليين رأى العمل بالاستصحاب واجباً على المكلف في حالة عدم العثور على دليل من الكتاب والسنة فحسب. و على الجانب الآخر، كان أصوليون حنفيون مثل أبي زيد الدبوسي يرون أن الاستصحاب لايمكن الركون إليه لإثبات حكمٍ، و هو يصلح لدفع الحكم فحسب.

و من مؤلفات الأعلام البارزين من الحنفية في هذه الفترة، يمكن أن نذكر: مأخذ الشرائع لأبي منصور الماتريدي، الأصول لأبي الحسن الكرخي، الأصول لأبي عبد الله البصري (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩م)، أصول الفقه لأبي بكر الرازي (ت ٣٧٠هـ)، و تقويم الأدلة لأبي زيد الدبوسي (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٩م). و في النصف الثاني من القرن ٥هـ، أيضاً يحظى أصول الفقه لفخر الإسلام البزدوي بوصفه مختصراً دراسياً في الأصول الحنفية، والأصول للسرخسي بوصفه أثراً جامعاً للمؤلفات السابقة، بمكانة متميزة.

ح) شمولية أصول الفقه بين المذاهب

ينبغي تقييم القرنين ٤و٥هـ / ١٠و١١م، على أنهما ذروة الدراسات الأصولية في تاريخ الفقه الإسلامي، ذلك أن تدوين علم الأصول الذي كان بابه قد أُشرع منذ القرن ٢هـ لم يتخذ شكلاً جاداً وشاملاً إلا في القرن ٤هـ. فمنذ ذلك القرن ـ وعلى الأقل في شرقي العالم الإسلامي ـ لم تعد أصول الفقه أرضية تخصصية لبعض المذاهب، بل حظيت بقبول عام بوصفها مقدمة ضرورية لعلم الفقه. وقبل أي إيضاح، تجدر الإشارة إلى القسم الأول من مفاتيح العلوم للخوارزمي (ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م) بوصفه مؤلفاً موسوعياً في العلوم الإسلامية خصص قسماً منه للفقه أيضاً، وفتح في أول باب من أبواب هذا العلم فصلاً في أصول الفقه. و في هذا الفصل جعل المذاهب الفقهية المختلفة تدور حول راية أصول الفقه، ورأى أن من الأدلة (بحسب تعبير المؤلف: الأصول) الستة محل البحث في الأوساط الفقهية، تحظى ثلاثة منها بالاتفاق وهي الكتاب والسنة وإجماع الأمة، بينما الأدلة الثلاثة الأخرى و هي القياس والاستحسان والاستصلاح تعتبر مثار خلاف بين المذاهب. كما تجدر الإشارة إلى تعامل أبي بكر الأبهري (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، زعيم مالكية المشرق مع فقه أبناء مذهبه في المغرب، حيث ذمهم لسطحية تعاليمهم والبعد عن الأصول النظرية.

ويلاحظ في الآثار الأصولية لهذه الفترة اشتراك واسع في أسلوب طرح البحوث، وإلى حدّ ملحوظ في اتخاذ المواقف بين المذاهب المختلفة. و من حيث مواضيع البحث في هذه الآثار ينبغي القول إنه فضلاً عن تفصيل البحوث القديمة في أسس الاستدلال الفقهي مثل البحث في كيفية الاحتجاج بالكتاب والأخبار والآثار والإجماع وكذلك بحثي القياس والاستحسان، كان هناك موضع لبحوث في تدوين وتحديد بعض المبادئ الفقهية مثل أقسام الواجب والأمر والنهي وبعض البحوث اللفظية التي تضم العام والخاص والمجمل والمفصل والحقيقة والمجاز. وتحظى البحوث التحليلية والاستدلالية الخاصة بخبر الواحد بحجم واسع، و في مصافها، احتل الإجماع ـ مع سعة في المفهوم ـ شطراً واسعاً من بحوث الأدلة.

وتجدر الإشارة إلى تعزيز الأسس النظرية للقياس بوصفها معلماً بارزاً في بحوث المالكية والتي وضعت المالكية من أصحاب الحديث في مصاف المتطرفين من أصحاب الرأي؛ كما حدث عندما اعتبر أبو الفرج القاضي وأبوبكر الأبهري من مالكية العراق و في نظرية مشتركة، القياس أولى من خبر الواحد في حالة التعارض. و في المقارنة تجدر الإشارة إلى نظرية المتكلم والأصولي المالكي، أبي بكر الباقلاني المثيرة للجدل الذي عرّف القياس بأنه «حملٌ معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أونفيه عنهما بأمر جامع بينهما من حكم، أو صفة»؛ وقد لقي هذا التعريف قبول الكثير من الأصوليين الذين أعقبوه.

و قد تبلور أصل البراءة خلال القرن ٥هـ في قالب أصولي، وتم التنظير بشأنه في آثار الشافعية بشكل خاص. و عدَّ أبو إسحاق الشيرازي في موضع استصحاب براءة الذمة على أساس دلالة العقل أمراً واجباً، و في موضع آخر عدَّ أصل البراءة بتعبير «استصحاب حال العقل»، أداة للمجتهد في حالة انعدام الدليل الشرعي؛ بينما كان الاستصحاب نفسه في القرن ٥هـ عرضة لنقد لاذع من أصوليي مذاهب مختلفة.

و من الآثار البارزة للشافعية في هذه الفترة، يمكن أن نورد نماذج مثل البيان في دلائل الأعلام على أصول الأحكام وشرح رسالة الشافعي لأبي بكر الصيرفي (ت ٣٣٠هـ / ٩٤٢م) والتبصرة لأبي إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) والبرهان لإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ). كما لعب المالكية الذين كانوا قد انضموا إلى صفوف كتّاب الأصول في هذه الفترة، دوراً كبيراً في نشر علم الأصول بتأليفهم آثاراً مثل اللمع في أصول الفقه لأبي الفرج المالكي (ت ٣٣١هـ) وأصول الفقه لأبي بكر الأبهري (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) ومقدمة في أصول الفقه لأبي الحسن القصار (ت ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م).

و من مؤلفات بقية المذاهب، تجدر الإشارة إلى آثار مثل العدة للقاضي أبي يعلى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م)، التمهيد لأبي الخطاب الكلوذاني (ت ٥١٠هـ / ١١١٦م) من الحنابلة؛ نعت الحكمة لأبي الطيب ابن الخلال (ابن النديم، ٢٧٣) والكتاب الشهير الإحكام لابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) من الظاهرية؛ والتحرير والنقر، وكذلك الحدود والعقود، الأثرين الأصوليين الجامعين لأبي الفرج المعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) (ابن النديم، ٢٩٢) من الجريرية.

و في الآثار الأصولية الباقية من المعتزلة أيضاً مثل قسم الشرعيات من المغني للقاضي عبد الجبار (ت ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م) والمعتمد لأبي الحسين البصري (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م)، طُرحت إلى جانب نظريات علماء بقية المذاهب، نظريات أصولية خالية من سمات الأصول القديمة للمعتزلة. كما كان القاضي عبد الجبار قد ألف كتاباً مستقلاً في الأصول تحت عنوان النهاية.

وكخاتمة للدراسات الأصولية في القرن ٥هـ، ينبغي أن نذكر محمد الغزالي وأثره القيم المستصفى الذي يعد منعطفاً لامثيل له في تاريخ المؤلفات الأصولية. وبرغم أن هذا الكتاب ألّفه مؤلف شافعي، لكنه لعب دوراً رئيساً في نقل البحوث الأصولية لهذه الفترة إلى الآثار المتأخرة بوصفه أبرز ممثل للأصول المتبلورة في هذه الفترة التاريخية، وكان نموذجاً يحتذى للدراسات الأصولية من بعده لدى جميع مذاهب أهل السنة. و مع أن الغزالي أبدى ـ بوصفه عالماً ذا رأي ـ آراء في الأصول، لكن كتاب المستصفى مدين بأهميته التاريخية بشكل كبير إلى أسلوب التحليل والجمع بين الآراء وتنقيح وتنظيم البحوث بشكل يدعو للاستحسان في تناول الكتاب.

ط) تدوين الآثار الأصولية في الألف الأخيرة

بعد دراسة المسائل الأصولية من جوانب شتى في القرنين ٤و٥هـ على أيدي أصوليي أهل السنة وآخرهم الغزالي، يلاحظ في القرون التالية تحول محدود نسبياً في الآثار الأصولية لأهل السنة، كما أن الكثير من البحوث والآثار هو تكرار، أو شرح وتفصيل للموضوعات التي كان الأقدمون قد طرحوها في كتاباتهم. ودون الورود في الحديث عن مفهوم، أو نطاق انسداد باب الاجتهاد في عالم فقه أهل السنة، ينبغي التذكير بشكل إجمالي بأن تجنب الفقهاء الاجتهاد نسبياً، كان قد جعل الكثير من البحوث الأصولية في هذه الفترة الطويلة بحوثاً نظرية بعيدة عن الاستخدام العملي. وفي هذا الصدد، فإن بعض المجتهدين البارزين فحسب، أنتجوا بنظرة فنية أصولية حيناً وبرؤية سلفية حيناً آخر، نظريات جديدة، وبإبداع محدود بطبيعة الحال في مضمار أصول الفقه.

و في القرن ٦هـ/١٢م، ينبغي دون شك أن نعدّ المحصول لفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، المتكلم والفقيه الشافعي من المؤلفات المهمة والرئيسة في هذا المجال والذي كان وإلى قرون موضع شرح وتحقيق علماء الأصول. و في القرن ٧هـ / ١٣م، قوبل مؤلَّفان اثنان بترحيب واسع؛ أولهما الإحكام لأصول الأحكام لسيف الدين الآمدي (ت ٦٣١هـ / ١٢٣٤م) من متكلمي الشافعية وفقهائهم والذي عُرف بوصفه مصدراً مهماً في الدراسات الأصولية المقارنة؛ والآخر نص موجز عنوانه مختصر المنتهى للأديب والفقيه المالكي، جمال الدين ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م) الذي انتشر لعدة قرون في الأوساط الأصولية بوصفه نصاً تدريسياً وكتبت له شروح وحواش كثيرة. وفضلاً عن دور الآمدي و من بعده ابن الحاجب في التدوين والتنظيم، فقد كان لهذين الاثنين في بعض الموضوعات الأصولية بحوث دقيقة وآراء جديدة أيضاً تجلت في شتى المواضع من آثارهم.

و في القرن ٨ هـ/ ١٤م، يجدر الحديث عن تبلور المدرسة السلفية التي كان مؤسسها ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) الذي كان يؤكد على فتح باب الاجتهاد، وإلى جانب إصراره على اتّباع النصوص، كان يمنح أهمية للقياس أيضاً في استنباط الأحكام الشرعية؛ وبدلاً من الإجماع، كان يعزز استخدام عنصر تحت عنوان «الاتفاق» الذي كان بحسب تعريفه يعني التوافق بين المجتهدين في الشريعة الإسلامية. و لم ينبر ابن تيمية نفسه لتأليف كتاب جامع في الأصول، بل يلاحظ انعكاس تعاليمه الأصولية في كتاب إعلام الموقعين لتلميذه ابن قيم الجوزية. و عن هذا الأثر ينبغي القول إنه يلاحظ في مواقفه وأسلوب بحثه اختلاف جذري بينه وبين الآثار الأصولية المتداولة و إن هذا الأثر يتمتع في الأصل بنسيج جديد و لاتنسجم عناوين فصوله مع ما كان متداولاً في الآثار الأصولية.

كما أن أبا إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) من منظّري المذهب المالكي والذي اشتهر برأيه في أن باب الاجتهاد مفتوح، انتهج أسلوباً مبتكراً وخاصاً في طرح البحوث في كتابه الشهير الموافقات في أصول الشريعة. فقد انبرى و هو الذي كان ينظر إلى علم الأصول نظرة من يبغي الحصول على أداة فاعلة للاجتهاد ـ ومن خلال نظرة عميقة إلى الأسس الكلامية لمسألة التكليف ـ لإعادة النظر في فلسفة التشريع بشكل جذري، واقترح أساليب في الاستخدام، أو وسعها، مما ينبغي أن نذكر في مقدمتها توسيع نطاق استخدام الاستصلاح. و في الحقيقة، فإن القسم الأكبر من هذا الأثر هو بحوث نظرية من النمط المذكور، ويشتمل ثلث منه فحسب تحت عنوان «كتاب الأدلة» على البحوث المتداولة في الكتب الأصولية.

يُتابع

المصدر: مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى

مقالة

عالمية الإسلام وخلوده

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

المقدمة

إن الإيمان بكل الأنبياء، والتصديق بكل رسالاتهم من المعتقدات الضرورية في الإسلام، وأن إنكار أحد الأنبياء أو أحد أحكامه وتعاليمه يعني إنكار الربوبية التشريعية الإلهية، وبمثابة كفر إبليس. ومن هنا، فبعد إثبات رسالة الإسلام، يلزم الإيمان به، والإيمان بكل الآيات النازلة عليه، وبجميع الأحكام والتعاليم التي جاء بها من الله تعالى. ولكن الإيمان بكل نبي، وبكتابه السماوي، لا يستلزم لزوم العمل وفق شريعته.

فالملاحظ أن المسلمين يؤمنون بكل الأنبياء العظام عليهم السلام وجميع الكتب السماوية، ولكن لا يمكنهم ولا يجوز لهم العمل بالشرائع السابقة. ومن الواضح أن الوظيفة العملية لكل أمة هي: العمل بتعاليم النبي المرسل لتلك الامة، إذن، فلزوم عمل الناس جميعاً بالشريعة الإسلامية انما يثبت فيما لو لم تختص رسالة نبي الإسلام بقوم (كالعرب)، وكذلك فيما لو لم يبعث نبي آخر بعده ينسخ شريعته، وبعبارة أخرى: إن الإسلام دين عالمي وخالد.

ومن هنا، يلزم علينا البحث في هذه المسألة: هل إن رسالة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم عالمية وخالدة؟ أم أنها تختص بقوم أو زمان معين؟ ومن الواضح أنه لا يمكن دراسة هذه المسألة بالمنهج العقلي البحت، بل لا بد من الإعتماد على منهج البحث في دراسة العلوم النقلية والتاريخية، اي لا بد من مراجعة المستندات والمصادر المعتبرة، ومن ثبت عنده أن القرآن الكريم على حق، وثبت عنه نبوة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وعصمته، فليس هناك أي مصدر آخر أكثر إعتباراً لديه من الكتاب والسنة.

عالمية الإسلام

إن عالمية الدين الإسلامي، وعدم إختصاصه وتحديده بقوم أو منطقة معينة، من ضروريات هذا الدين الإلهي، وحتى غير معتنقيه يعلمون بأن الدعوة الإسلامية عامة شاملة، وغير محددة بمنطقة جغرافية معينة. إضافة إلى ذلك، هناك الكثير من الشواهد والدلائل التاريخية التي تدل على أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث الرسائل لرؤساء وملوك الدول القائمة آنذاك، أمثال قيصر الروم، وشاه إيران، وحكام مصر والشام والحبشة، ورؤساء القبائل العربية المختلفة. وأرسل لكل واحد منهم رسولا خاصا، ودعاهم جميعا لاعتناق هذا الدين المقدس، وحذرهم من مغبة الكفر والمساوئ المترتبة على إمتناعهم عن إعتناق الإسلام، ولو لم يكن الدين الإسلامي، عالميا لما تحقق مثل هذه الدعوة الشاملة، ولكان هناك عذر ومسوغ لسائر الأقوام والأمم عن عدم إعتناقه. إذن فلا يمكن التفكيك بين الإيمان بأن الإسلام على حق، وضرورة العمل وفق هذه الشريعة الإلهية، ولا يستثني أي أحد عن الإلتزام العملي بهذا الدين الإلهي.

الأدلة القرآنية على عالمية الإسلام

إن القرآن الكريم هو أفضل الأدلة وأكثر المصادر إعتبارا على هذه الحقيقة، وهو المصدر المعتبر والحجة المعتبرة لكل الناس. ومن ألقى نظرة ولو كانت عابرة على هذا الكتاب الإلهي يدرك بكل وضوح عمومية دعوته، وعدم اختصاصها بقوم، أو عنصر، أو لسان.

ومنها: أنه يخاطب الناس جميعا في آيات كثيرة: (يا أيها الناس) أو (يا بني آدم) ويرى هدايته شاملة لجميع البشر (الناس) و(العالمين)، وقد جعل رسالة النبي الأكرم موجهة لجميع الناس (الناس) و(العالمين). وقد أكد في احدى آياته شمول دعوته لكل من إطلع عليها ومن جانب آخر يخاطب معاتبا. أتباع الأديان الأخرى بـ(هل الكتاب)، ويثبت رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حقهم، ويرى الهدف من نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو إعلاء الإسلام وإظهاره على سائر الأديان.

ومع التأمل في هذه الآيات، لا يبقى أي شك في عمومية الدعوة القرآنية وعالمية الدين الاسلامي المقدس.

خلود الإسلام

كما أن الآيات المذكورة تثبت عمومية الإسلام وعالميته، من خلال استعمال الألفاظ العامة أمثال (بني آدم، والناس، والعالمين)، وتوجيه الخطاب للامم الأخرى من غير العرب، وأتباع الأديان الأخرى أمثال (يا أهل الكتاب)، فهي كذلك ومن خلال الإطلاق الزماني تنفي أي تحديد وتقييد له بزمان معين، وخاصة هذا التعبير (لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه)، حيث لا يبقى معه شك في هذا المجال.

ويمكن الإستدلال على هذه الحقيقة أيضا بالآيتين (٤١) و(٤٢) من سورة فصلت: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَاب عَزِيز، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيل مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ).

حيث تدل على أن القرآن الكريم لن يفقد صحته واعتباره أبدا. كما أن الأدلة التي تثبت ختم النبوة بنبي الإسلام تبطل كل ما يتوهم عن نسخ هذا الدين الإلهي، بواسطة نبي آخر أو شريعة أخرى. وقد وردت روايات كثيرة تتضمن هذه الفكرة: "حلال محمد حلال أبداً إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة". اضافة إلى أن خلود الاسلام كعالميته من ضروريات هذا الدين الإلهي، ولا يحتاج إلى دليل آخر غير الادلة التي تثبت أن الإسلام على حق.

معالجة بعض الشبهات

إن أعداء الاسلام الذين بذلوا كل جهودهم في الوقوف بوجه هذا الدين الإلهي، والمنع من إنتشاره وإتساعه، حاولوا من خلال طرح بعض الشبهات أن يثبتوا أن الدين الإسلامي إنما نزل للجزيرة العربية فحسب، وليست رسالته شاملة لسائر الناس!

وقد تمسكوا ببعض الآيات التي تدل أن النبي صلى الله عليه وآله إنما كان مأمورا بهداية عشيرته وأقربائه، أو أهل مكة وما يحاذيها ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤)١٢. وكذلك الآية (٦٩) من سورة المائدة فإنها بعد أن أشارت لليهود والصابئين والنصارى إعتبرت محور السعادة في الإيمان والعمل الصالح، ولم تتطرق إلى تأثير إعتناق الدين الإسلامي في السعادة.

وإضافة لذلك، فإن الفقه الاسلامي لم يعتبر أهل الكتاب بمستوى المشركين، بل يرى أنهم لو دفعوا الجزية (وهي بدل الخمس والزكاة المفروضين على المسلمين) فلهم الأمان في ظل الدولة الإسلامية، ويمكنهم العمل بأحكام شريعتهم، وهذا دليل على إعتبار سائر الأديان.

ونقول في الجواب: ان الآيات تذكر عشيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أهل مكة، إنما هي في مجال بيان مراحل الدعوة، حيث تبدأ من عشيرته الأقربين، وبعد ذلك تمتد لسائر أهل مكة وما يحاذيها، ثم تأخذ بالإتساع لسائر البشر في العالم، ولا يمكن لهذه الآيات أن تكون مخصصة للآيات الدالة على عالمية رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لإنه بالاضافة إلى أن شكل التعبير في هذه الآيات ولحنها يأبى عن التخصيص فإن مثل هذا التخصيص يلزم منه تخصيص الأكثر وهو مستهجن عند العقلاء.

وأما الآية المذكور في سورة المائدة، فهي في مجال بيان هذه الحقيقة، بأن مجرد الإنتساب لهذا الدين أو ذاك لا يكفي لغرض الوصول للسعادة الحقيقية، بل إن عامل السعادة هو الإيمان الواقعي والعمل بالوظائف التي شرعها الله تعالى لعباده. ووفق الأدلة التي تثبت عالمية الإسلام وخلوده فإن وظيفة الناس جميعا بعد ظهور نبي الإسلام هي العمل بأحكام هذا الدين وتشريعاته.

وأما الميزة التي تميز أهل الكتاب عن سائر الكفار في الدين الإسلامي فلا تعني إعفاءهم عن إعتناق الإسلام والعمل بأحكامه، بل إنه في واقعه ارفاق دنيوي في حقهم لبعض المصالح، وفي رأي الشيعة إن هذا الإرفاق مؤقت، سيعلن عن الحكم النهائي في حقهم، في زمان ظهور ولي العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف وسيكون الموقف منهم كالموقف من سائر الكفار، ويمكن إستفادة هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾.

المصدر: دروس في العقيدة الاسلامية

إعداد ونشر جمعية المعارف الاسلامية الثقافية.ط١،ص١٦٥-١٧٠

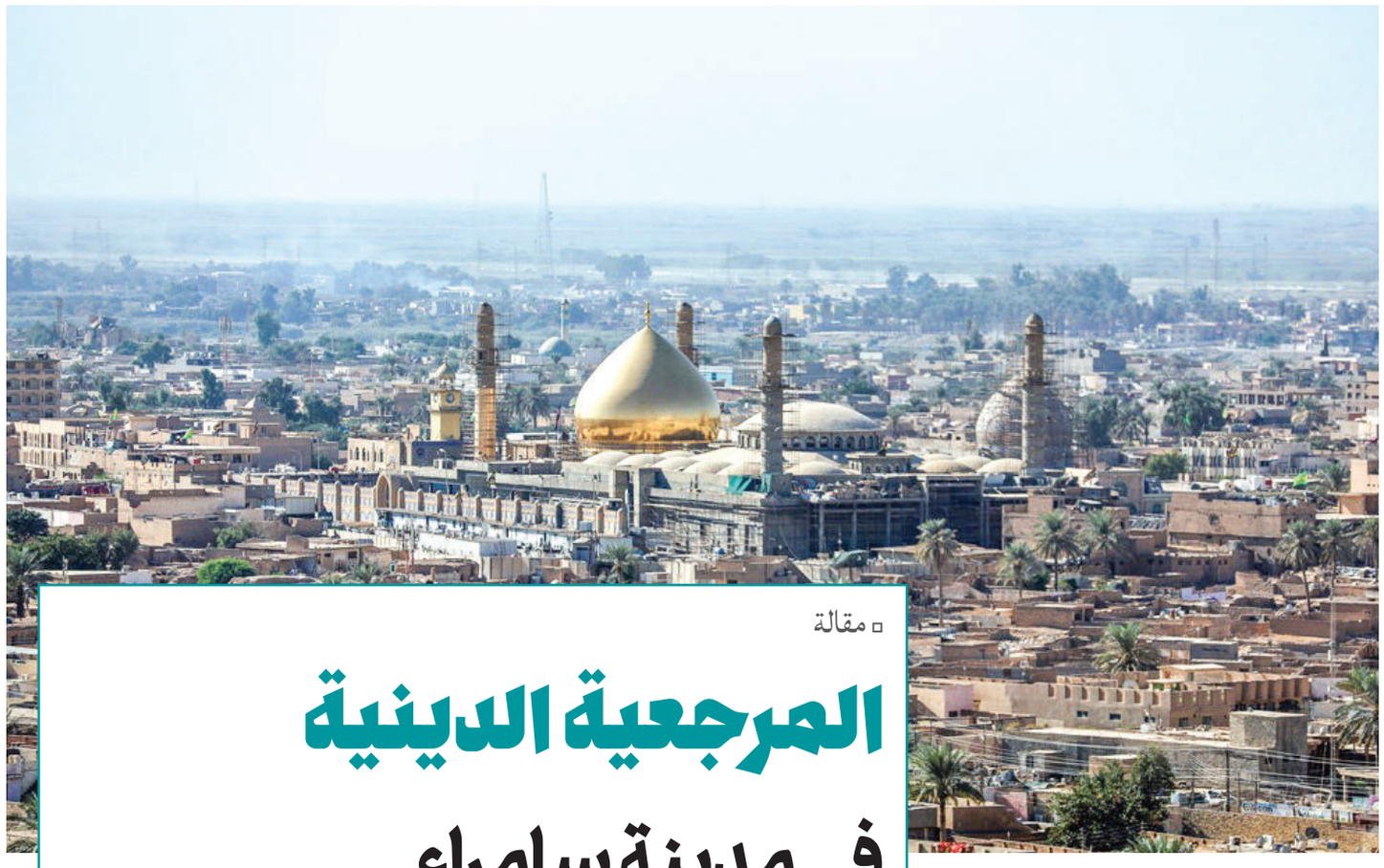

مقالة

المرجعية الدينية في مدينة سامراء

الانتباه: الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

لا يخفى ما للحوزة العلمية من دور كبير على مستوى التاريخ، في معالجة جميع المشاكل الحياتية، وإيجاد الحلول المناسبة للوقائع المختلفة، ومن بين تلك الحوزات حوزة سامراء العلميّة التي لم يوضح دورها الريادي في معالجة العديد من الأزمات التي مرّت بالأمة الإسلاميّة، فضلاً عن دورها في الجوانب العلمية والثقافية والمسائل الفكرية والعقائديّة والعبادية والأخلاقية، كل هذه الأمور جعلتنا نضع هذا العنوان محط النظر وكشف الحقائق وإظهار الدور الفعّال لهذه الحوزة الطاهرة.

أهمية مدينة سامراء الدينية

تعتبر مدينة سامراء من المناطق ذات الأهمية الدينية المهمة في المجتمع الإسلامي، وإذا ما أردنا توضيح تلك الأهمية فيمكن رصدها بعدّة جوانب مهمّة مثلت ذلك الدور، وكما يأتي:

أوّلاً: تعتبر مدينة سامراء قديماً محط سام بن نوح عليه السلام، وقيل هو من بناها، ولا غرو أن محط أبناء الأنبياء لتلك البقعة تمثل تحولًا في بيئتها وجعلها مركزًا دينيًا له أبعاده الفكرية في هذا المجال. فهذا ما ورد في كتب البلدانيين العرب، ومن ذلك ما يخبره اليعقوبي في (البلدان) أنّ المعتصم العباسيّ (صار إلى موضع سرّ من رأى، وهي صحراء من أرض الطيرهان، لا عمارة بها، ولا أنيس فيها، إلا دير للنصارى، فوقف بالدير وكلّم من فيه من الرهبان، وقال: ما اسم هذا الموضع؟ فقال له بعض الرهبان: نجد في كتبنا المتقدّمة أنّ هذا الموضع يُسمّى سرّ من رأى، وأنّه كان مدينة سام بن نوح عليه السلام. وجاء في معجم البلدان للحموي: يقولون إنّ سامرّاء بناها سام بن نوح عليه السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء.

ثانياً: كان لوجود الإمام الهادي عليه السلام في سامراء الدور الكبير في تأسيس وتوثيق تلك الأرض بمبادئ أهل البيت عليهم السلام ونشر الفكر المحمدي بين ظهراني أبناء هذه المنطقة. فإنه عليه السلام بمجرد وصوله مدينة (سرّ من رأى) كانت البركات والمعاجز، ومن ذلك ما رواه صالح بن سعيد حيث قال: (دخلت على أبي الحسن الهادي عليه السلام يوم وروده فقلت له: جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا إطفاء نورك والتّقصير بك، حتّى أنزلوك هذا المكان الأشنع، خان الصّعاليك. فقال: ها هنا أنت يا بن سعيد؟ ثمّ أومأ بيده فإذا أنا بروضات أنيقات، وأنهار جاريات، وجنّات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنّهنّ اللّؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبي فقال عليه السلام لي: حيث كنّا فهذا لنا يا بن سعيد، لسنا في خان الصّعاليك).

وإذا ما أردنا أن نسلط الضوء أكثر على تأثير الإمام الهادي عليه السلام على مدينة سامراء نجده لا يختلف عما فعله آباؤه وأجداده الطاهرون عليهم السلام فقد كانوا حريصين أشد الحرص على بناء الفرد المسلم بناءً صحيحًا. فإن دور الأئمّة الاثني عشر الذين نصّ عليهم وعلى إمامتهم الرسول صلى الله عليه وآله واستخلفهم لصيانة الإسلام من أيدي العابثين الذين كانوا يتربّصون به الدوائر، وحمّلهم مسؤولية تطبيقه وتربية الإنسانية على أساسه وصيانة دولة الرسول الخاتم من الانهيار والتردّي يتلخّص في أمرين مهمّين وخطّين أساسيين:

١. خط تحصين الأمة ضد الانهيار بعد سقوط التجربة، وإعطائها من المقوّمات القدر الكافي لكي تبقى واقفة على قدميها بقدم راسخة وبروح مجاهدة وبإيمان ثابت.

٢. خط محاولة تسلّم زمام التجربة وزمام الدولة ومحو آثار الانحراف وإرجاع القيادة إلى موضعها الطبيعي لتكتمل عناصر التربية الثلاثة أعني الأمة والشريعة والمربّي الكفء ولتتلاحم الأمة والمجتمع مع الدولة وقيادتها الرشيدة.

أما الخط الثاني فكان على الأئمّة الراشدين أن يقوموا بإعداد طويل المدى له، من أجل تهيئة الظروف الموضوعية اللازمة التي تتناسب وتتفق مع مجموعة القيم والأهداف والأحكام الأساسية التي جاءت بها الرسالة الإسلامية وأريد تحقيقها من خلال الحكم وممارسة الزعامة باسم الإسلام القيّم وباسم الله المشرّع للإنسان كل ما يوصله إلى كماله اللائق. ومن هنا كان رأي الأئمّة المعصومين من أهل بيت الرسول(صلى الله عليه وآله) في استلام زمام الحكم أن الانتصار المسلّح الآنيّ غير كاف لإقامة دعائم الحكم الإسلامي المستقر بل يتوقف ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وبعصمته إيمانًا مطلقاً بحيث يعيش أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس كل ما يحققه للأمة من مصالح وأهداف ربّانية.

وأما الخط الأوّل فهو الخط الذي لا يتنافى مع كل الظروف القاهرة، وكان يمارسه الأئمّة الأطهار عليهم السلام حتى في حالة الشعور بعدم توفر الظروف الموضوعية التي تهيئ الإمام عليه السلام لخوض معركة يتسلّم من خلالها زمام الحكم من جديد.

ثالثاً: وجود الحوزة العلمية في مدينة سامراء والتي تمثل مصدر ربط وثيق بين المؤمنين من جهة، ومصدر إشعاع فكري وعلمي رصين يقف سداً منيعاً للمؤمنين، كما سيأتي لاحقًا.

البذرة الأولى للحوزة في سامراء

إن الحوزة العلمية في سامراء لم يكن لها وجود من دون تضحية العظماء من العلماء الذين يبذلون الغالي والنفيس في إعلاء كلمة الإسلام وترصين الحق ونشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومن أولئك العظماء المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي (أعلى الله مقامه) الذي هو مؤسس الحوزة العلمية في سامراء.

فلما وصلت إليه زعامة المذهب واستقر به المقام في النجف الأشرف، قرر التوجه إلى مدينة سامراء التي تضم مرقد الإمامين: علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام، وفيها غيّب الإمام محمد المهدي الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويقصدها على مدار السنة عدد غير قليل من المسلمين الإمامية من داخل العراق وخارجه لزيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام، والتبرك بمرقدهما الطاهر، وسكان هذه المدينة من المسلمين السنّة منذ عهد العباسيين الذين أسسوها واعتبروها عاصمة لهم في عهد من عهودهم.وعندما رسخت مرجعية الإمام المجدد الشيرازي في الأقطار الإسلامية قرر الانتقال من النجف إلى سامراء، ولم يعلن عن تصميمه في بداية الأمر لأنه كان يخشى ضغط العلماء وهيجان الجماهير عليه ممّا يضطره لترك الفكرة، وهو مصمم على إنجازها لما فيها من مصلحة للأمة، وذلك عام ١٢٩١هـ.

وحين ألقى عصا الترحال في سامراء، وعرف عنه الرغبة في الإقامة الدائمة بمدينة الإمامين العسكريين عليهما السلام، توافد عليها العلماء الأعلام وتبعهم الأصحاب والطلاب والتلاميذ، والكثير من المسلمين الشيعة الذين يرغبون في البقاء إلى جنب زعيمهم الديني الميرزا الشيرازي، والتشرف بمجاورة مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، والاستفادة من فضله وتوجيهه والانضواء ضمن مرجعيته والانتظام بحوزته درساً وتدريساً ومتابعة.

وفي عام ١٢٩١ هـ تشرف السيد المجدد الشيرازي إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان، وبعد الزيارة توجه إلى الكاظمية لزيارة الإمامين: موسى بن جعفر، ومحمد الجواد عليهما السلام، ثم توجه إلى سامراء فوردها أواخر شعبان، ونوى الإقامة فيها لأداء فريضة الصيام، ولئلا يخلو الحرم الطاهر للإمامين العسكريين عليهما السلام من الزوار في ذلك الشهر - فإنّ الحرم يغلق إذا جاء الليل ولم يكن فيه أحد من أمثال المترجم له، ويحرم منه سائر الزوار، وكان يخفى قصده، ويكتم رأيه، وبعد انقضاء شهر الصيام كتب إليه بعض خواصه من النجف الأشرف يستقدمه ويسأله عن سبب تأخره، فعند ذلك أبدى لهم رأيه، وأخبرهم بعزمه على سكنى سامراء، فبادر إليه العلامة ميرزا حسين النوري، وصهره الشيخ فضل الله النوري، والمولى فتح علي السلطانآبادي، وآخرون من الطلبة والمشتغلين، وهم أول من لحق به، وبعد أشهر اصطحب الشيخ جعفر النوري عوائل هؤلاء إلى سامراء أوائل (عام ١٢٩٢ هـ) ثم لحق بهم سائر الأصحاب والطلاب والتلاميذ، فعمرت به سامراء. وبذلك أصبح المجدد الشيرازي مصداقًا لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

الدور الإصلاحي لحوزة سامراء

كان لوجود الحوزة العلمية في سامراء بقيادة الميرزا الشيرازي دور كبير في عملية إصلاح المجتمع، فقد تعددت تلك الإصلاحات على أشكال مختلفة، وبما تخدم المصلحة العليا للإسلام والمسلمين، وقد ذكر لنا التاريخ عدّة أمور واضحة في خصوص هذا المجال وسنورد بعضاً منها وكما يأتي:

أوّلاً: فتوى تحريم التبغ:

وتعرف هذه الفتوى بثورة التنباك أو ثورة التبغ (بالفارسية: نهضت تنباك) هي ثورة قامت بعد سنة ١٨٩٠م، حين منح الملك القاجاري، ناصر الدين شاه، حق بيع وشراء التبغ في إيران لصالح شركة بريطانية. كان نحو ٢٠٪ من الإيرانيين يعملون في قطاع التبغ، وقد أدت الإتفاقية إلى احتكار البريطانيين لهذا القطاع. وصلت الأزمة ذروتها حين صدرت فتوى التحريم من قبل المرجع الميرزامحمد حسن الشيرازي سنة١٣٠٩هـ / ١٨٩١م حَرم فيها التنباك، جاء فيها: (اليوم..استعمال التنباك والتوتن بأي نحو كان بحكم محاربة إمام الزمان عجل الله فرجه).

ثانياً: جسر العبور:

ومن جملة ما قامت به المرجعية هو بناؤها جسراً على نهر دجلة ليتمكن الناس الذين يعيشون خارج مدينة سامراء والوفود القادمون من بغداد وغيرها من العبور بسلاسة ومن دون عناء وإعطاء الأموال، حيث جاء في تقريراته ما نصّه (كان الناس الّذين يقطنون خارج المدينة في الجانب الثاني من النهر يعبرون النهر بواسطة (القفف) وكذلك الزوار والمسافرون من بغداد وغيرها، وكان أصحاب المعابر (القفف) يشترطون في الأجرة ويلقى منهم الزوار أذىً كثيرًا، وحل المرحوم السيد الشيرازي المشكلة إذ بنى جسرًا محكمًا على دجلة من السفن بالطريقة التي كانت متبعة في بقية جسور العراق حينذاك تسهيلًا للعبور، ورفقًا بالزوار والواردين، وكما تحدد المصادر أنه أنفق عليه عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهبًا، ثم بعد إتمامه سلّمه للدولة تتقاضى هي أجورًا وزهيدةً مقابل العبور عليه وذلك لغرض صيانته ودوامه.وقد بنى عدة دور للمجاورين والزوار لمرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام، وكانت تؤجر بقيم رمزية ممّا ساعدت على تشغيل أيدي ضعفاء وفقراء المدينة وعمالهم.

ثالثاً: خدماتها لطلبة العلوم:

لم يكن دور الحوزة العلمية في سامراء مقتصراً على ناحية دون أخرى فقد كانت خدماتها تجاه طلبة العلوم الدينية والذين هاجروا مع المرجع المجدد أو الذين التحقوا بالحوزة في سامراء، فقد قام السيد الشيرازي ببناء مدرستين كبيرتين لطلاب العلم الدينيين غير المتزوجين (وهي ما يطلق عليه اليوم أقسام داخلية)، أنفق في سبيل بنائهما أموالًا طائلة وشغل عددًا من العمال في إشادة ذلك البناء. وتُعتبر من أكبر المدارس العلمية الشيعية في العراق، وظلّتا قائمتين تحكيان قصّة العصر الذهبي للفكر الشيعي إلى أن جاء النظام البعثي البائد وقام بتخريبهما تعبيراً عن حقده الدفين للإسلام وعلمائه.

وعلى الرغم من اهتماماته الكبيرة في متطلبات المرجعية، كان لا يغرب عن باله تفقد العلماء في العراق وخارجه، وطلاب الحوزات العلمية، والتعرف إلى أحوالهم المعاشية، والاهتمام بسد حاجاتهم المادية، وحل مشاكلهم أينما كانوا. إذ كان له عيون ورقباء يوصلون له الأخبار عن ذلك في الخارج، وكانت الأخبار تصل إليه باستمرار، ويهتم بمعالجتها، ووضع الحلول لها، والإيعاز لوكلائه وممثليه في البلاد الإسلامية بما يقتضي لتلكم القضايا.أما الحوزات العلمية في العتبات المقدسة، فكانت موضع اهتمامه بصورة خاصة، اعتقادًا منه أن البلدان التي تضم المراقد المقدسة يجب أن تطغى فيها الواجهة العلمية الدينية، تشويقًا لطلاب العلوم المهاجرين الذين يرغبون في التحصيل العلمي الديني والتبرك بمجاورة مراقد أئمة الهدى من آل بيت المصطفى عليهم السلام،

وهذا التشجيع لم يقتصر على طلاب العلوم الدينية، إنما امتد إلى بعض العلماء المشاهير، بغية إبقائهم في أماكنهم، وعدم انتقالهم إلى بلدانهم، التي تتوفر لهم فيها سبل العيش أكثر من أي مكان آخر.

إن وجود مراقد أئمة أهل البيت عليهم السلام شكّلت انعطافة في حياة المجتمع السامرائي الدينية والمذهبية، وركزت المبادئ العلوية المقدسة. فمدينة سامراء بتعدد طوائفها أعطت صورة واضحة للوحدة الإسلامية والتكاتف بين أبناء الطوائف الإسلامية وهذا ما يمثل نقطة قوّة للإسلام والمسلمين. فقد استطاع المجدد الشيرازي أن يجعل من مدينة سامراء، مدينة العلم والتعلّم، ومهبط أفئدة العلماء والدارسين.وكان لوجود المرجعيّة الدينية في مدينة سامراء الأثر الواضح في جميع المجالات العلمية منها والسياسية والاقتصادية والوحدة الوطنية. واستطاع المجدد الشيرازي أن يثبت لجميع العالم كيف يستطيع الإسلام أن يبني من مدينة بائسة - حين رحيله إليها - مدينة العلم والحضارة، ونشّط فيها الدراسة الحوزوية ومنحها بعداً جغرافياً واسعاً.

المصدر: مجلة ينابيع، العدد ٥٦

شعر وقصيدة

في رثاء الإمام الحسن العسكري عليه السلام

الدرّ العاملي

يـا حـاديَ الآلامِ والأرزاءِ
حُطَّ الرِّحـال بأرضِ سامرّاءِ
إنزِلْ بها وأقِمْ مآتِمَ لوعةٍ
حزناً لِوالدِ خاتـمِ الأمنـاءِ
رَوِّ الثرى بالدّمع إنّ مصابَهُ
أدمى مدامـعَ مُقلةِ الزّهراءِ
غدَرَت به كفٌّ قديمٌ عهدُهـا
بالغدرِ، يا شلّت يدُ البغضاءِ
قتلوهُ حيثُ رأوهُ بدرَ هدايـةٍ
والجهلُ يعشقُ عِيشةَ الظّلماءِ
لهفي لحال العسكريّ إمامِنا
بالسّمِ مـاتَ ممزّقَ الأحشاءِ
لكنّـهُ لم يَعلُ شمرٌ صـدرَهُ
مـا حزّ منحرَهُ بسيفِ شقاءِ
كلّا ولا داست على أضلاعِهِ
خيلٌ، ولا منعوهُ شربَ المـاءِ
لم يتركوهُ على الصّعيدِ ثلاثةً
آهٍ حسينٌ مقطّعَ الأعضـاءِ
يا نادباً زَرَءَ الحسينِ بكربلا
في كلّ صبحٍ سيدي ومساءِ
يامن تفيضُ على مصيبةِ جدّهِ
بدلَ الدّموعِ عيونُهُ بدمـاءِ
طالَ الغيابُ وطالَ حزنُكَ والأسى
لهفي لقلبكَ كعبـــةِ الأرزاءِ

الآفاق
السنة الثانية
العدد ٣٧
الأثنين ٩ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ.ق
٨ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
متعلق بمركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
مدير التحرير: علي رضا مكتب دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: السيد امير سجادي • مسئول الطبع: مصطفى اويسي
طباعة: صميم ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٢١ ٩٨+

تعريف بكتاب

فهرس تراث حوزة سامراء

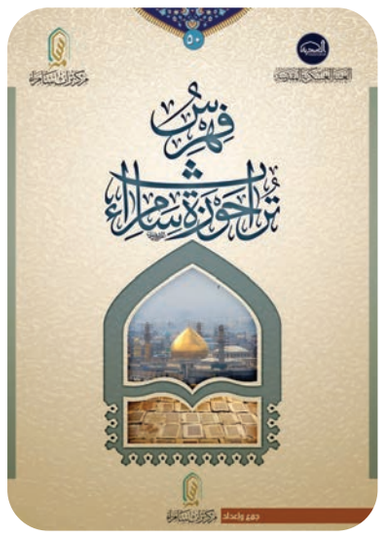

الفهرس عبارة عن جرد -أولي- لأكثر من ثلاث مئة من التصنيفات المخطوطة والمطبوعة لتراث حوزة سامراء، والتي خطتها أنامل الأفذاذ من رواد تلك الحوزة العريقة، تلك الحوزة التي أبدعت فيما أنتجت، وقدمت مصنفات أغنت المكتبة الاسلامية، وقد وزعت أسماء المخطوطات في الكتاب على الحروف الألفبائية، ويأتي الكتاب في سياق المهمة التي نهض بها (مركز تراث سامراء) بإعادة سامراء وحوزتها العريقة الى الذاكرة الإسلامية، باعتبارها ظاهرة مهمة وفريدة في التأريخ الإسلامي، أنتجت الكثير كمًّ ونوعاً وما تزال إلى يومنا الحاضر، وقد استغرق إعداد الفهرس مدة ليست بالقصيرة، ناهيك عن الصعوبات الكبيرة في إثبات نسبة الكثير من المخطوطات إلى سامراء، فهذه الخطوة هي الأولى من نوعها في جرد وإحصاء تراث حوزة سامراء، بل وما سبق تلك الحوزة وما تلاها.

دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين

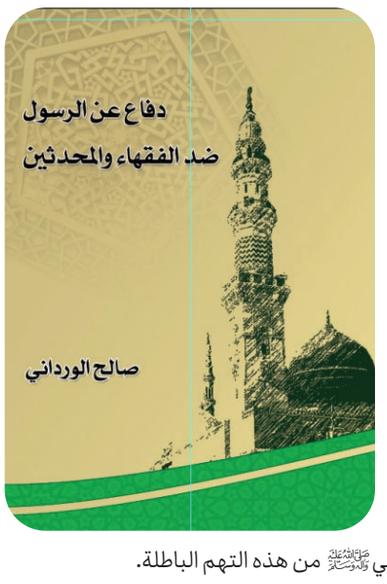

موضوع الكتاب هو عبارة عن شرح وتحليل بعض رجال أهل السنة من شخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ويحاول المؤلف في مستهل حديثه الدفاع عن شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العظيمة في كافة الأبعاد ونقد بعض الأفكار السلبية النابعة عن بعض رجال أهل السنة حول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ويستطرد المؤلف قائلاً بأن وجود هذه الأفكار والأقوال السلبية في المصادر الفقهية والروائية لأهل السنة أدى الى سوء إستغلالها من قبل أعداء الدين والإسلام كما أدى الى تشويه سمعة الدين، ويذكر المؤلف بأن بعض التهم المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الأعداء نابعة عن هذه الأقوال الباطلة على سبيل المثال : وجود علاقة حميمة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم والسيدة عائشة في حين كانت عائشة طفلة صغيرة في بداية الرسالة النبوية، الجبن والكسل، التنازل عن الخلافة لصالح عمر، تشجيع الظلم، إستهانة الأنبياء السلف، الممارسات المخلة للآداب وغيرها من الأحاديث الشريفة المروية عن رجال أهل السنة حيث يحاول المؤلف تبرئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هذه التهم الباطلة.

نرحب بآراء القراء الأعزاء
عبر البريد الالكتروني التالي
Alafagh1444
@gmail.com